لا يُقدّر بثمن
تأليف
د. إميل نظير
رواية
www.riwaya.ml

لا يقدر بثمن
(روايـة)
من تأليف

د.إميل نظير

مراجعة
أ.هانـي عبدالمنعم حسن

لا يقدر بثمن

*** أيهما أغلى الماء أم الذهب؟ .. ترى هل تتغير الإجابة بتغير المكان؟ .. هل يتغير ردك لو كنت تائها في الصحراء مثلا؟**

*** هل تتوقف الدول عن كيل المؤامرات وتسرح أجهزة مخابراتها؟ .. هل تسود البطالة أجهزة المخابرات؟**

*** لماذا يتقدم ضابط مخابرات مصري إذن بأوراقه للعمل في وظيفة يؤمن بها مستقبله؟**

*** ولماذا يعمل ضابط في الموساد لدى رجل أعمال مصري ولماذا ينقذه من مصيبة كاد أن يسقط بها؟**

*** لماذا قرر الموساد هدم الإقتصاد المصري؟ وهل ستسمح له المخابرات المصرية الذراع القوية للوطن؟**

*** ما الدرس الذي أراد الرئيس تعليمه لأكبر رجل أعمال في مصر؟ وهل يعي الرجل الدرس؟**

*** ترى هل للوطن من ثمن؟ .. هل يمكنك شراء وطن؟**

*** أي وطن سيقبلك فقيرا كنت أم غنيا؟**

*** ترى لو ضاع الوطن فمن سيدفع الثمن؟**

إهداء

إلى ابنتي حبيبة قلبي صغيرتي مهجتي "يارا" والتي أدعوها دوما "رور حبيب بابا" أهدي روايتي تلك إليك حبيبتي مع قلبي كما أهديتي البهجة لقلبي مذ ولدتي لعلك حين تكبرين وتقرئين روايتي تلك تفخرين بأبيك كما أفخر أنا كثيرا بك ولتعلمي يقينا يا ابنتي أنني ما أحببت أحدا قط في تلك الدنيا قدر ما أحببتك

د. إميل نظير

تنويه

تلك الرواية ربما حدثت في الواقع وربما لم تحدث ولكنها من المؤكد أنها حدثت في خيال المؤلف لذا فأي تشابه في الأشخاص أو الأسماء أو الأحداث هي فقط من قبيل الصدفة .. الصدفة البحتة فقط

www.riwaya.ml

لعلكم تدهشون جميعا حين تعلمون أنني أتحدث إليكم من عالم اللا موت واللا حياة .. عالم ما بين الموت والحياة .. منطقة لا أعرفها ولا أدرك كنهها .. لست أدري إن كنت حيا أم ميتا ولكني أدرك أنني على شفا هوة سحيقة .. أهي هوة الموت؟ .. صدقوني لست أدري .. لست أدري إن كنت قد مت أم بقي لي بعض الوقت حتى أنتقل من هذا العالم ولكني أدرك أنني لو كنت ما أزال حيا فقد بقي لي القليل من الوقت لأترك تلك الدنيا ربما دقائق وربما ساعات وليس لذلك فرق عندي فلم أعد أشعر بالوقت ولكني أشعر بروحي وهي في محاولاتها المستميتة للتحرر

من جسدي .. أشعر بها تحاول الإنطلاق حرة تاركة جسدي للموت والفناء وليتها تفعل سريعا فلست أطيق ذلك العذاب الذي يطلق عليه "سكرات الموت" وإن كنت أعاني منه منذ أيام وأيام .. أيام لا أدرك عددها ولا أريد عدها .. أرجوكم إدعوا لي جميعا حتى ينطلق السر الإلهي لأتخلص من عذاباتي ومعاناتي! .. لست أستطيع تحريك لساني وفتح فمي .. هناك غصة في حلقي تمنعني من الكلام والرمال تملأ حلقي وفمي .. لم أذق طعم الزاد منذ أيام وأيام والماء لم يدخل فمي رغم أنني أملك الكثير من المال والذهب والألماس .. يبدو أنكم لا تصدقونني! .. لم لا تصدقونني؟ .. إنهم هناك في حقيبة سيارتي .. تلك السيارة التي تقف

هناك أمامكم شامخة .. يمكنكم أن تفتحوا حقيبة السيارة وتروا بأنفسكم .. ها هي سيارتي .. تلك السيارة الفارهة والملقى إلى جوارها سائقي المسكين الذي يتمرغ في الرمال كالذبيح يعاني سكرات الموت مثلي تماما والموت البشع يزحف نحوة رويدا رويدا ويدور حوله يستمتع بعذابه ولا يريد أن يلتهمه تماما كما يفعل معي .. تماما كما يفعل القط الذي يتلاعب بفأر صغير يمسك به ثم يتركه فجأة فيعاوده الأمل في الهرب والنجاة ويحاول ويحاول ولكن مهما حاول فأين يذهب من مخالب ذلك القط اللعين الذي يجد كل متعته في تعذيبه قبل إلتهامه وأكله؟ .. ألا أيها الموت اللعين لماذا تتلاعب بنا؟ لماذا لا تأكلني وذلك السائق المسكين

فتخلصنا من عذابنا؟ .. قضيت حياتي كلها أجمع المال حتى صرت من أغنى الرجال في مصر بل ومن أغنى الرجال في العالم وها هي كل ثروتي من ذهب وأموال وألماس .. كل ما جمعته بالحلال والحرام وبكل وسيلة ممكنة .. ها هي كامل ثروتي تقبع في حقيبة سيارتي .. ولست أظنكم تدهشون لو قلت لكم أنني مستعد لأن أهبها كاملة لمن يمنحني كسرة خبز وشربة ماء .. أقسم أنني أقول الحقيقة ولست أهذي .. إنني وأنا على شفا الموت الآن أرى الحقيقة واضحة جلية أمامي .. فبم قد يفيدني المال والذهب؟ .. ربما أفادني الآن رغيف خبز وكوب من الماء أكثر مما قد تفيدني ثروتي .. فماذا أفعل بتلك الثروة اللعينة وأنا تائه في تلك

الصحراء اللعينة التي يبدو أن لا نهاية لها .. الرمال تحاصرني من كل جانب والبنزين نفذ تماما من سيارتي .. هل يمكنني أكل تلك الثروة اللعينة؟ .. لست أظن العمر يمهلني فأحكي لكم قصتي فالموت يحاصرني لذا أنصحكم أن تبحثوا عن رواية أخرى لتسليتكم فروايتي لست أظنها تكتمل ولست أظنها ترضي فضولكم .. أما أنا فسأموت في صمت ولست أظن أحدا سيعثر يوما على جثتي التي ستأكلها حتما ذئاب الصحراء .. وماذا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها؟ .. فلتأكلها الذئاب وإن كنت أشك في وجود الذئاب هنا وأشك في وجود أي نوع من الحياة هنا أصلا فالحياة يلزمها الماء وما من ماء أو عشب هنا .. هيا اذهبوا! .. دعوني

أموت! .. إنني أتعجب منكم فلست الإنسان الأول الذي يموت في تلك الدنيا فلم تجتمعون حول روايتي؟ لم تجتمعون وليس فيها من العجب ما يجمعكم حولي .. ولكن انتظروا! .. لكم أحتاج إليكم بجواري! .. أحتاج إليكم لأروي قصتي فأهوّن على نفسي تلك اللحظات العصيبة التي أمر بها أو ربما تمر بي .. لست أحتاج لتصفيقكم ولا تشجيعكم فأنا على شفا الموت ولكني أحتاج دعواتكم عل الله على ما فعلت يسامحني .. سامحني يا إلهي! .. سامحني! .. إنني نادم على كل خطيئة ارتكبتها .. آسف على كل غلطة صنعتها .. حزين على كل معصية فعلتها .. آسف يا إلهي .. إنني متأكد أنك ستسامحني .. ستغفر لي .. ستمحو

ذنبي .. فعظيم أنت تتضاءل أمامك ذنوبنا ومعاصينا .. لا فائدة .. لست أقوى على التفكير الآن .. شدة العطش تؤثر على كل شيء بي .. تجعلني أهذي .. تجعلني أتخيل أشياء ليست من الواقع .. أشياء لا وجود لها .. لذا أستأذنكم في أن أنهي قصتي قبل أن تبدأ وأموت ..

أموت في صمت

* * *

"ها قد مت"

حقيقة لا أدري إن كان ما أنا فيه هو الموت أم شيء آخر فليست لي خبرة في ذلك الأمر فتلك

هي المرة الأولى التي أموت فيها .. هل مات أحدكم من قبل فيخبرني؟ .. عموما لا فرق إن كنت قد مت أو أنني أعبر تلك الغيبوبة التي تنتهي حتما بالموت .. كل ما أعلم أنني فجأة تخلصت من عذابي دفعة واحدة وها أنا أشعر بروحي تحلق في الظلام وتنحدر في هوة سحيقة يبدو أنها لا تنتهي .. ولكن لماذا الظلام؟ ألم أتضرع إلى الله أمامكم كي يسامحني؟ هل قدر علي أن أعيش في ظلام دامس مع الأشرار؟ .. ولم العجب؟ .. ألست شريرا حقا؟ .. إنني في الواقع الشر بعينه وقد تجسد وصار إنسانا فما فعلت في حياتي لم يكن بالقليل .. ولكن إن كنت شريرا ولم يسامحني الله فلم لم يأخذوني للجحيم مباشرة؟ .. أين النار التي سوف

تشويني؟ .. يبدو أن هناك إهمالا جسيما .. سأرفع صوتي وأفضحهم .. ولكن صه! .. أصمت أيها الغبي! .. بم سيفيدك قيامهم بعملهم خير قيام وشيّك في نار جهنم؟ .. أصمت! فما أنت فيه من نعمة قد لا يدوم .. نعمة؟ .. أتسمي الظلام الذي يحيط بك كما يحيط السوار بالمعصم نعمة؟ .. أليس ذلك أفضل من النار ورائحة الشواء التي ستنبعث حتما من جسدك أيها الغبي؟ .. أليس ذلك أفضل من عذاب الجوع؟ .. أليس أفضل من وحش الموت الذي كان يتسلى بعذابك قبل أن يلتهمك؟ .. لم أتحدث عن الموت؟ .. أليس الموت هو من التهمني؟ .. ألست أنا الآن في بطن الموت؟ .. صه أيها الغبي! دعك من بطن

الموت وبطن الزير واصمت! .. أصمت لئلا يسمعك أحدهم فيعيدك إلى الحياة وسط الصحراء بين مخالب الموت وحصار الرمال أو يذهب بك للجحيم لتنفذ حكما عليك بالشيّ حيا وسط النار .. ها قد صمت تماما وسأصمت للأبد فلست أحب الشواء ولا رائحته .. مضى الوقت بي بينما تتأرجح روحي وتتهادى هابطة الهوة العميقة كورقة قد ألقيت من عل والهوة لا تنتهي .. يبدو أن لا نهاية لها .. لقد مللت هل ستظل روحي هكذا للأبد؟ .. ألا أيتها الهوة ألا انتهي! وما الخروج منك بأمثل! .. على وزن أحد أبيات الشعر .. دعونا نمرح قليلا فمن المؤكد أنكم قد مللتم مني وألقى نصفكم روايتي في سلة المهملات ومضى لأعماله ولكنني أعتذر فليس

الذنب ذنبي .. مهلا .. لقد رأيت شيئا .. يبدو أنني قد جننت .. ماذا يمكن أن أرى في ذلك الظلام الدامس؟ .. ولكن أقسم لكم إنني لا أهذي .. ها هو المشهد يتكرر مرارا .. لقد رأيت قبس من نور .. لا تسألوني عن معنى "قبس" .. أقسم أنهم يكتبونها هكذا منذ ولدت وأقسم أنني لم أبتدع تلك الكلمة و..

يا للمصيبة! .. يبدو أن أحدهم يحاول إعادتي للحياة .. ألا يفهم ذلك الغبي أنه لا فائدة؟ .. ذلك الغبي! .. أرجوكم يجب أن تمنعوه .. فليتحرك أحدكم! امنعوا ذلك الغبي من إفاقتي وإيقاظي! .. ألا يدرك ذلك المجنون ما يفعل؟ .. يبدو أنه متمرس .. يبدو أنه طبيب .. تلك المرأة التي تقف إلى جوارة تناديه "يا دكتور" ..

إنه يوجه كشافا ضوئيا صغيرا نحو حدقة عيني بعد أن فتح جفنيّ بأصابعه الدقيقة التي ترجح كونه جراحا .. ذلك المصباح فيما يبدو هو سبب الضوء الذي حيرني في ظلام الهوة التي كنت أسبح فيها .. ماذا يفعل ذلك المجنون؟ إنه يضع قطعة من القماش على فمي ويزفر في فمي .. تلك ما يسميه الأطباء "قبلة الحياة" .. كثيرا ما تخيلت وحلمت بتلك القبلة ولكن أصدقكم القول لم أتخيلها من فم ذلك الطبيب الغبي الذي ينبعث من فمه رائحة كريهة تدل على أنه لم يغسل أسنانه منذ قرون .. رائحة ممتزجة برائحة نوع رديء من السجائر .. لقد تخيلت تلك القبلة من حسناء فاتنة وتخيلت

نفسي وقد تخليت عن الموت أو تخلى الموت عني واستيقظت فجأة أكمل بلذة قبلتي و ..

استميحكم عذرا فذلك الطبيب الغبي يضغط على قلبي بكلتا راحتيه يكاد يخترق ضلوعي ويعتصر قلبي .. شهيق .. زفير ..

ها قد عاد ينفخ في فمي .. ليتني أستطيع أن أبصق رائحة أنفاسه القذرة المشبعة ببقايا الطعام المتراكم فوق أسنانه الصفراء القذرة المصطبغة بلون الشاي ودخان السجائر و ..

يا للمصيبة! .. يبدو أنه سينجح .. أسمع جسدي يسعل بشدة وأرى روحي وقد استقرت على الجسد والتحمت به ثانية ..

ويا للمصيبة .. يا لمصيبتي

* * *

"وها قد عدت للحياة"

وا مصيبتاه .. أقسم أن أقتل ذاك الرجل .. لقد أعادني للعذاب .. رجوتكم كثيرا أن تمنعوه ولم يحرك أحدكم ساكنا .. تكتفون بقراءة روايتي وحين أستنجد بكم تتنكرون لي ولا تنجدونني .. أنتم السبب .. أنتم جعلتموني مجرما .. أقسم سأقتله .. ولكن مهلا .. علي أن أنتظر قليلا .. علي أن أفيق وأستعيد قوتي وتركيزي .. الله! .. يالهذا الإحساس الجميل الرائع! .. إنه يدهن شفتيّ بقطرات من الماء الذي يرطبهما ويتسلل عبر جلدهما المتشقق كالماء الذي يتسرب عبر شقوق الأرض العطشى .. الغبي البخيل! ..

لماذا تلك القطرات؟ .. لماذا لا يصب الكثير من الماء في فمي فيروي عطشي دفعة واحدة؟ .. ولكنه طبيب .. لعله يفعل الصواب .. لقد قرأت عن ذلك مرة لا أدري أين؟ .. قد يكون في إحدى الجرائد أو المجلات وإن كنت نادرا ما أقرأ ولكني على الرغم من ذلك أذكر شيئا من ذلك .. لم يكن لدي الوقت لأقرأ .. لقد خصصت جل وقتي لجمع المال والذهب وها أنا لا أستطيع أكله .. ما استطاع مالي وذهبي إنقاذي .. ها أنا أستعيد وعيي رويدا رويدا و..

"سأقتلك أيها الغبي"

نطقت بتلك العبارة بينما أمسك برقبة الطبيب الذي أنقذني بوهن شديد فبدا على وجهه

الذهول وأزال راحتي من حول رقبته بسهولة بينما يهتف:

– تقتلني؟ .. لماذا تقتلني؟ .. أهو جزاء سنمار؟

من سنمار هذا؟ .. لست أدري وإن كنت قد فهمت قصده فقد كان يعني أهكذا يكون جزائي لأنني صنعت معك خيرا وأنقذتك؟ .. الغبي؟ .. ألا يفهم؟ .. ألا يفهم أنه قد أعادني إلى عذابي وبلا رحمة؟ .. ولكن مهلا .. أما وقد ينقذني؟ .. لديه ماء .. نعم لديه ماء فقد رطب شفتي بالماء .. وقد يكون لديه خبز أيضا .. وكيف أتى إلى تلك المنطقة القاحلة؟ .. من المؤكد أن لديه سيارة .. درت ببصري في المكان أبحث عن سيارته وتهللت أساريري حين وجدتها تقف

على مقربة من سيارتي ولكنني رأيت فجأة ما صدمني .. ما هذا الزحام حول الطبيب الذي انهمك في إفاقة سائقي .. نعم الزحام كثيف حول الرجل .. من أين جاء كل هؤلاء؟ هناك سيدة لم أحتج للكثير من الذكاء حتى أدرك أنها زوجة الطبيب الذي سمعته يدعوها "سامية" تمسك بيمينها صبيا في الخامسة من عمره تقريبا وحولها أربعة من الفتيات اليانعات يبدو أنهن بناته تتراوح أعمارهن ما بين الخامسة عشرة والعشرين وطفلة صغيرة تبدو في العاشرة من عمرها .. أدركت منذ الوهلة الأولى أن الطفل الذكر قد جاء إلى الحياة بعد معاناة لسنوات وسنوات من إنجاب البنات بدا ذاك واضحا من خوف والدته المبالغ به عليه

وحرصها على أن تظل يده الصغيرة ممسكة على الدوام بيدها ولكن ..

– أين سأجلس أنا؟

كان السائق قد أفاق ونهض الطبيب يحملق بي في ذهول بينما يقول:

– ماذا؟

أمسكت بتلابيب ملابس الرجل بينما أصرخ به:

– ما دمت لن تنقذني لماذا أيقظتني؟

صرخ بي قائلا في دهشة:

– وهل كنت أتركك لتموت؟

– كلنا سنموت يوما ما فلماذا لم تتركني؟

– إنني طبيب ومن واجبي أن ..

قاطعته في حنق قائلا:

– ومن واجبك أن تنقذني أليس كذلك؟

- بلى

- وهل أنقذتني؟

- بالطبع

- وبعد أن أنقذتني؟

بدا عليه الحيرة بينما يقول:

- ماذا بعد؟ .. عليك أن تشكرني

- شكرا لك

وشببت على أطراف أصابعي أقبل رأسه بينما أستطرد:

- وها أنا أقبل حذاءك أيضا و..

تغيرت تعبيرات وجه الطبيب وبدا الغضب على وجهه وقد شعر بالإهانة فقد شبهت رأسه بالحذاء فأسرعت أعتذر:

- آسف يا دكتور .. لم أقصد .. إنني أقصد أن أقبل رأسك ولكن ..

- ولكن ماذا؟

- ماذا بعد؟

- ماذا تريد مني بعد؟

- هل ستأخذنا معك أم ..

نظر الطبيب نحو أفراد أسرته وألقى نظرة عابرة على السيارة وكأنما يحصي عدد مقاعدها ومط شفتيه في أسف بينما يقول:

- ليت الأمر بيدي!

- إذن فلن تأخذني معك؟

- نعم

أمسكت بتلابيب ثيابه بينما أصرخ به في حنق:

- إذن فلماذا أيقظتني من غيبوبتي؟

– أكنت تفضل الموت؟

– الموت أفضل من أن توقظني وتتركني في عذابي وترحل

– لا .. لن أترككما للعذاب .. سأترك لكما بعض الطعام والماء

وأسرع الرجل نحو سيارته وفتح حقيبتها وأحضر بعض شطائر الخبز بالجبن وزجاجتي ماء صغيرتين وسلم النصف إلى سائقي واختطفت منه النصف الآخر ورحت ألتهم الشطائر في نهم وشراهة ورأيت السائق بطرف عيني يحذو حذوي وما أن انتهيت منها حتى أفرغت زجاجة الماء كاملة في جوفي وكذا فعل السائق بزجاجته والطبيب يحملق بنا مذهولا و ..

– أستأذنكما فقد تأخرت و ..

أمسكت بتلابيب ملابسه بينما أقول في غضب:

– سأقتلك وليس لدي ما أخسره يا دكتور

– وبما سيفيدك قتلي؟ .. قد يمر أحدهم من هنا و ..

تملك الغيظ مني فدفعته بعيدا عني حتى كاد أن يسقط بينما أقول في حنق:

– ومن سيمر من هنا؟

– سيمر أحدهم كما مررت أنا

– وكيف مررت أنت من هنا يا دكتور؟

– لقد تهت و ..

– إذن فعلي أن أنتظر تائها آخرا مثلك؟

– سيرسل الله النجدة من عنده يا ابني وأعدك أن أبلغ رجال الشرطة وأدلهم على مكانكما .. ثقا بالله!

– نحن نثق بالله ولكن ..

– ولكن ماذا؟

– كيف ستدلهم على مكاننا؟ .. أتظننا أغبياء؟

– سأجعلهم يقتفون آثار عجلات سيارتكم و ..

– وهل ستظل آثار عجلات سيارتنا حتى تبلغ الشرطة وتعود بهم؟ .. ليكن كلامك معقولا!

وأمسكت برقبته أضغط عليها بكل قوتي بينما أهتف به في غضب:

– آسف يا دكتور .. لم تترك لي خيارا سوى .. سوى قتلك يا رجل

* * *

www.riwaya.ml

كانت حياتي على المحك .. كانت حياتي مقابل حياته .. لم يكن أمامي سوى أن أقتله .. فلو قتلته سآخذ سيارته وأعود بها مقتفيا أثر عجلاتها التي كانت محفورة في الرمال حتى الطريق الإسفلتي المعبد ومن هناك يمكن لأي سيارة عابرة أن تقلني وسائقي إلى مكان مأهول بالسكان .. كان من المنطقي أن أختار حياتي واخترتها بالفعل وهممت أن أقتله ولكن .. كان جزء من ضمير بداخلي قد بدأ يؤرقني ويوخذ قلبي ويصرخ بداخلي ويؤلمني .. أهذا جزاء الرجل لأنه حاول إنقاذي؟ .. لم يكن ضميري فقط الذي يصرخ .. كانت زوجته وبناته الخمسة يصرخن ويحاولن إبعادي عنه وإبنه الصغير "يوسف" يركل بقدمه الصغيرة قدمي ويوجه إلي

لكماته بيديه الصغيرتين بينما يصرخ باكيا بلهجة أدمت قلبي:

- أترك أبي أرجوك!

وإذا بيداي تخذلانني وتتخليان عن رقبة الطبيب وإذا به يسعل ويسعل قبل أن يتمالك نفسه وفوجئت به يخرج مسدسه من جيب سترته ويوجهه نحوي ثم يشير نحو صدره بمسدسه قائلا:

- أهذا جزائي لأنني أنقذت حياتك؟

- لماذا أنقذتني وأعدتني إلى عذابي؟

ولم ينبس الطبيب ببنت شفة فاقتربت منه ثانية وربت على كتفه واستطردت أستدر عطفه:

- هل ستتركنا نموت بعد أن أنقذتنا؟

- وماذا بيدي؟

- خذنا معك في حقيبة السيارة!

- لست أستطيع

- لماذا؟

- الحقيبة بها أكلنا وشربنا ولا ندري متى سنصل إلى منطقة مأهولة بالسكان

- سنجلس إذن في المقعد الخلفي و..

قال في حنق:

- وماذا عن بناتي؟

جذبت يده في رفق وأخذته معي إلى سيارتي بينما تبعنا الجميع وفتحت حقيبتها وأريته ما بها من ذهب ومال وألماس وما أن رآها الرجل حتى اتسعت عيناه كما اتسعت أعين الجميع وسال لعابه وبدأت أطرق الحديد وهو ساخن:

- سأعطيك ربع ما معي

– والمقابل؟

– تأخذني والسائق في حقيبة سيارتك الخلفية

– وكيف للحقيبة الخلفية أن تسعك أنت والسائق والأكل والشراب والذهب

أخذته من يده بعيدا عن السائق وعن الجميع وقلت له بصوت خافت أقرب إلى الهمس:

– دعك من السائق فليس معه ما يهديه إياك!

نظر الطبيب نحو السائق ثم نظر إلي شزرا وهو يقول مستنكرا:

– هل سنتركه يموت؟

ضربت كفا بكف بينما أقول:

– عجبا! .. تستنكر موت السائق بمفرده بينما تجد أن من الطبيعي تركي والسائق كلانا خلفك للعذاب والموت؟

– دعني أفكر و ..

– ليس هناك وقت للتفكير فلو حل الظلام فسنجد صعوبة في تتبع آثار عجلات سيارتنا .. ثم أن عجلات سيارتك أوضح لذا سنتتبعها

– ليس هذا ممكنا للأسف

– لماذا؟

– لأننا قادمون من الأردن

فجأة لمعت فكرة في عقلي فتألقت عيناي وقلت له:

– لست بحاجة لسيارتك اللعينة يا دكتور

ابتعد الطبيب قليلا بينما يتنهد في ارتياح قائلا:

– الحمد لله .. فلأنصرف إذن

جذبته من ذراعه وأعدته نحوي بينما أقول:

– لم أنتهي من حديثي بعد يا دكتور

نظر نحوي في ضجر بينما يقول:

- ماذا تريد مني بالضبط؟

- سأعقد معك صفقة رابحة

- سآخذ ما معك من طعام وشراب ونصف ما معك من وقود وأعطيك ربع ثروتي

نظر نحوي مستنكرا بينما يقول:

- وأموت أنا وأولادي؟

- لن تموت .. فبمجرد أن تصل إلى الطريق الإسفلتي المعبد يمكنك شراء ما تريد

- وكيف أضمن أن أصل إلى هناك؟

- لابد من بعض المخاطرة .. ليس من شيء مضمون في تلك الدنيا

- ولو أعطيتني كل مال الدنيا فلن أخاطر بأولادي

– لا تضطرني لقتلك يا دكتور!

بدا الخوف في عينيه وتحسس مسدسه الذي وضعه للتو في جيب سترته ولكنه تمالك نفسه سريعا وبدأ يستغل الفرصة ويبتزني قائلا:

– حسنا .. سأعطيك نصف ما معي مقابل نصف ما معك

بدت الحيرة على وجهي فلم يكن من السهل علي أن أتخلى عن نصف ثروتي دفعة واحده فهتفت به صارخا:

– لا تعقد الأمر يا دكتور!

– ذاك عرضي ولك أن تقبل أو ترفض

– نصف ما لدي يساوي عشرين مليارا من الدولارات

– فلتأكل ذهبك ودولاراتك إذن!

– ماذا تعني؟

– كل ما لديك لا يساوي قطرة ماء مما عندي

قلت بعد تردد شديد ومعاناة طويلة ومحاولات كثيرة مني لإقناع نفسي أنها صفقة رابحة:

– حسنا إنني أوافق

بدت ابتسامة النصر على وجه الطبيب بينما بدا الحنق والغيظ على وجهي ولم تمض دقائق حتى كان الطبيب والسائق يتعاونان في نقل نصف ثروتي من أموال وسبائك ذهبية وألماس إلى سيارة الطبيب الوغد ونقل نصف الطعام والشراب إلى سيارتي ثم تعاونا في وضع أنبوب ضيق بين خزاني الوقود في السيارتين واندفع البنزين عبر الأنبوب إلى سيارتي تبعا لنظرية الأواني المستطرقة حتى تعادلت كلتا الكفتان وهكذا

اقتسمنا البنزين بيننا بالتساوي .. كنت أرقبهما دون أدنى مساعدة مني أما يكفيني أن أرى نصف ثروتي التي جمعتها بتعبي وجهدي وكفاحي تضيع مني في لحظات؟ .. كان الطبيب في قمة سعادته فقد أتم لتوه صفقة عمره وصار ملياردیرا يمتلك عشرين مليارا من الدولارات فجأة .. كانت خبطة العمر بالنسبة له بينما كان السائق متململا مضطربا وكأنما دفع تلك الأموال من ماله الخاص وما أن انتهى حتى إقترب مني هامسا:

– والله .. حرام

– ما الحرام بالضبط؟

أشار نحو سيارتي بسبابته بينما يقول:

– هذا الطعام والشراب لا يساوي ثمن سبيكة واحدة

سألته متعجبا:

– أيهما أغلى يا رجل الماء أم الذهب؟

ولم أكن أريد إقناعه بل كنت أريد إقناع نفسي .. أما السائق فأجابني بصمته فما استطاع نطق الحقيقة ففي تلك الصحراء الجرداء كان الماء أغلى كثيرا .. أغلى من الذهب

* * *

"لقد صرنا أغنياء"

نطق الطبيب تلك العبارة في سعادة بالغة وسط الصحراء مما حدا بزوجته أن تلقي بنفسها في

حضنه وتقبل وجنتيه وفاقت سعادتها سعادته بينما تقول:

– مبروك علينا يا حبيبي

وأسرعت بناته الخمسة كل منهن تقبل وجنتيه وتقول:

– مبروك يا أبي

– مبروك علينا جميعا يا بنات

واختطف الطبيب صغيره في حضنه يقبله قبل أن يهتف في سعادة:

– لقد تعدينا حاجز الفقر يا "يوسف"

قبل "يوسف" والده ثم وضع كلتا راحتيه على وجنتي أبيه بينما يقول:

– أيعني ذلك أنك ستشتري لي لعبا كثيرة يا أبي؟

أعاد الطبيب تقبيل الصغير بينما يقول:

– سأشتري لك كل لعب الدنيا يا "يوسف"

صفق الصغير بكفيه الصغيرين في جذل بينما يقول:

– إنني أحبك كثيرا يا أبي

أسرعت "ناهد" ابنة الطبيب الكبرى وهي فتاه في العشرين من عمرها تقول في سعادة بالغة:

– وأنا يا أبي أريد الكثير من الملابس و ..

ضمها إليه بينما يقول:

– لك ما تريدين يا حبيبتي

قالت "نهى" ابنته الثانية وهي فتاه في التاسعة عشر من عمرها:

– وأنا أيضا يا أبي

أنزل الصغير عن كتفه إلى الأرض وضمها إليه أيضا بينما يقول:

- وأنت يا حبيبتي

قالت "نجلاء" ابنته الثالثة وهي فتاه في السابعة عشر من عمرها:

- وأنا؟ .. هل نسيتموني؟

اندفع نحوها يضمها إليه بينما يقول:

- لا يمكن أن ننساك يا حبيبتي

قالت "عبير" ابنته الرابعة وهي فتاه في الخامسة عشر من عمرها:

- وأنا؟

- أنت حبيبتي

قالت "عزة" ابنته الصغرى وهي طفلة في العاشرة من عمرها:

- وماذا عني أنا؟

حملها الطبيب بين زراعيه وضمها لحضنه بينما يقول:

- أنت حبيبتي صغيرتي

- وماذا ستحضر لي يا أبي؟

- كل ما تريدين يا حبيبتي

- أريد عريسا وسيما مثلك يا أبي

انفجر الجميع ضاحكين وما أن انتهوا من ضحكاتهم حتى التفت الطبيب إلى زوجته "سامية" بينما يقول ساخرا:

- وأنت يا "سامية" ألا تريدين عريسا؟

اتسعت ابتسامتها بينما تقول:

- يكفيني زوجي العزيز الرائع

- هل صرت الآن رائعا؟ .. أما كنت تئنين مني حتى صباح اليوم وتطلبين الطلاق؟

- لننس الماضي يا حبيبي فقد تخطينا مرحلة الشقاء

- حسنا .. فلتعدوا لنا ما ننام عليه فسنبيت ليلتنا هنا!

ظهرت البهجة على وجوه البنات وصفقن بأيديهن وتقافزن وهمسن فيما بينهن:

- سنبيت هنا

وبدا الضيق على وجه "سامية" بينما تقول:

- لماذا لا نمضي في طريقنا؟ .. ألم تخبر رجل الأعمال أن يمضي وسنتبعه بعد قليل؟

- تقصدين ذلك الوغد "حسن رشدي"؟

- نعم

– لن نذهب خلفه .. لقد كنت أخدعه

– لماذا؟

– لقد أهداني الرجل نصف ثروته تحت ضغط لأنه كان في ورطة أما لو لقيني في الأمان حيث يطمئن على نفسه فلن يتورع عن قتلي لإستعادة أمواله

اتسعت عيناها ذعرا بينما تقول:

– لتلك الدرجة؟

– بل وأكثر

– لقد مضى منذ ما يقرب من الساعة

– أريده أن يمل من البحث عني

– ولكنه قد ينتظرنا على أول الطريق الأسفلتي المعبّد

– قبل أن أقترب من ذاك الطريق سأدور بمحازاته دورة واسعة من بعيد ولن يعثر علينا يا عزيزتي .. لن يعثر علينا أبدا

* * *

نظرت خلفي أبحث عن الطبيب وأبنائه فلم أجدهم على امتداد بصري فقلت للسائق الذي كان ينطلق بالسيارة مقتفيا بصعوبة آثار عجلات سيارتنا أثناء قدومنا إلى ذاك الطريق:

– ألن ننتظر ذلك الطبيب الوغد؟

– لا وقت لدينا "حسن" بيك

– لماذا؟

– لو حل الظلام سنجد صعوبة بالغة في تتبع آثار العجلات على ضوء السيارة الخافت

– انطلق إذن وليذهب الطبيب إلى الجحيم

وسارت السيارة في طريقها تنهب الأرض نهبا بينما انهمكت أنا في تعويض ما فاتني من طعام وشراب .. كنت آكل بنهم شديد .. كنت كمن يتناول وجبته الأخيرة في تلك الدنيا حتى خيل إلي أن معدتي ستنفجر ومع ذلك ما زلت آكل ولم أتوقف ولما لاحظ السائق ما أفعل تطوع لنصيحتي:

– سيدي .. لا ندري كم سيطول الطريق وكمية الأكل محدودة و ..

قاطعته قائلا في صرامة:

– ليس هذا من شأنك أيها الوغد

كظم السائق غيظه ولم يستطع أن ينطق ببنت شفة .. لست أدري لم لم أرتح قط لهذا الرجل؟ .. كثيرا ما فكرت في فصله من العمل وتعيين آخر محله .. لم أطمئن له أبدا .. يخيل إلي أحيانا أنني أعمل لديه لا هو من يعمل لدي .. لديه شخصية مسيطرة غريبة لا تتفق وشخصية سائق .. كيف نسيت في غمرة أعمالي أن أفصله؟ .. أخرجت ورقة وقلما كنت أحتفظ بهما في جيب سترتي دائما وسجلت بها "عند وصولي لابد من فصل ذلك السائق الوغد من العمل" وأعدت الورقة والقلم إلى جيب سترتي و ..

– لقد وصلنا إلى الطريق الإسفلتي "حسن" بيك

لم أصدق أذني من فرط فرحتي .. ليتني اصطحبت معي السكرتيرة فبرغم تحفظها الشديد إلا أنني كنت سأرغمها أن تزغرد و ..

– توقف!

نظر السائق نحوي في دهشة قائلا:

– لماذا؟

قلت في صرامة:

– لا شأن لك .. توقف!

وما أن توقفت السيارة حتى هبطت منها وسجدت لله شكرا وعرفانا وقد ترقرقت الدموع في عينيّ .. لم أكن أصدق أنني قد نجوت من تلك المحنة العظيمة .. لكم أنت عظيم يا إلهي .. شكرا لك ولعظيم فضلك .. طال سجودي وفوجئت بذلك السائق الوغد يزجرني:

– لقد حل المساء وأظلمت الدنيا ألن نمضي؟

نظرت إليه شزرا فنظر إلي متحديا .. ويلك مني حين نصل أيها الوغد .. استقليت السيارة وانطلق السائق بنا بينما يقول:

– عندما نعبر الحدود سيكون أصدقائنا الإسرائيليين في انتظارنا و ..

انقبض قلبي فجأة وهتفت بالسائق في صرامة:

– توقف أيها الوغد!

ضغط السائق مكابح السيارة في عنف فتوقفت السيارة فجأة بعد أن كادت أن تنقلب بنا ولم أهتم بذلك ولكنني هتفت به صارخا:

– إلى أين تأخذني؟

نظر إلي في دهشة بينما يقول:

– إلى حيث أمرتني .. إلى اسرائيل

تذكرت أنني أمرته بذلك بالفعل قبل أن نتيه في الصحراء فقلت متلعثما:

– لقد غيرت رأيي .. عد بنا إلى القاهرة!

نظر إلي شزرا بينما يقول في غضب:

– أتظن الأمر لعبة؟

صحت به في غضب:

– أنت تعمل لدي وعليك تنفيذ أوامري ثم كيف تحدثني بتلك اللهجة الوقحة أيها الوقح؟

فغرت فاي في دهشة واضحة عندما التقط السائق مسدسا تعرفته على الفور فهو مميز للغاية .. إنه مسدس الطبيب وقد كان السائق يحتفظ به أسفل مقعده فيما يبدو .. لست أدري كيف حصل عليه .. صوبه نحوي بينما يقول في غضب:

– لقد سئمت منك

أهذا السائق مجنون؟ .. لست أدري ماذا يفعل بالضبط؟ .. أيعمل لدي أم أعمل لديه؟ .. هل يمكن أن أكون سائقه وما مر بي من مصائب قد أثر على عقلي وجعلني أتخيل العكس؟ .. ربما .. تصرفت بحكمة فرسمت ابتسامة على وجهي وإن كانت باهتة إلا أنها ابتسامة على أي حال وربت على أحد كتفي الرجل بينما أقول:

– إنك حبيبي .. لم أقصد إثارتك لتلك الدرجة .. الأمر لا يتعدى الهزل

قال السائق في غضب:

– ألن نذهب إلى اسرائيل؟

– نعم .. لن نذهب

ودفعت المسدس بعيدا عن وجهي برفق بينما أستطرد بلهجة حاولت قدر استطاعتي أن أجعلها ودودة:

– لتبعد هذا المسدس عن وجهي حتى نستطيع التفاهم

وضع المسدس على تابلوه السيارة بينما يقول في حنق واضح:

– تفضل!

– زاد فضلك .. أخبرني أولا كيف حصلت على مسدس الطبيب؟

– ليس هذا من شأنك .. لقد حصلت عليه بطريقتي

كظمت غيظي واحتفظت بإبتسامتي كماركة مسجلة على وجهي وقلت له بود زائف:

– لقد مررت معي بنفس المحنة أليس كذلك؟

– بلى لقد مررت

– لقد علمتني تلك المحنة الكثير

قال بنفاذ صبر:

– مثل ماذا؟

– مثل أن قطرة ماء في وطني أغلى من الذهب

– الماء في كل مكان وفي كل الأوطان

– لكن وطني لا يقدر بثمن

– أليس وطنك هو من اضطهدك وجعلك تفر منه؟

– لا أنكر أن هناك بعض المساوىء والعيوب والمضايقات ولكن ذلك يحدث في كل مكان وفي كل الأوطان فليس هناك مجتمعا خالصا من الملائكة وليس ذلك مبررا لكي أبيع وطني

– رأس المال جبان لا يعرف وطنا

– ولكني أعرف وطني وأجله وأقدره

– ولكن إسرائيل ستوفر لك مناخا رائعا للإستثمار الآمن وأصدقاؤنا هناك سيذللون أمامك كل المصاعب

– اسرائيل ستستقبلني الآن لأن لدي المال ولكن لو ضاع المال فمن سيستقبلني سوى وطني؟ .. وطني يقبلني غنيا ويقبلني فقيرا ويرضى بي مفلسا .. وطني يقبلني على أي حال

– وطنك يقتل المواهب ويطرد رأس المال

– ما بالك يا رجل؟ .. يخيل إلي أنك لست مصريا .. أمعنا أنت أم علينا؟

أمسك بالمسدس من فوق تابلوه السيارة ووجهه نحوي ثانية بينما يقول في صرامة:

- لم أكن معكم قط يا رجل

فغرت فاي مشدوها بينما أقول:

- من أنت بالضبط؟

- "دانيال كاهان" ضابط في الموساد

- لم أرتح لك قط يا رجل

- ولا أنا ولكنني كنت مضطرا لإنهاء عملي

قلت في عناد واضح كالأطفال:

- لن أذهب إلى إسرائيل

سحب ابرة مسدسه بينما يقول في صرامة:

- إهبط من السيارة إذن!

- سأهبط ولكن ..

- ولكن ماذا؟

- ماذا عن ذهبي وأموالي؟

– إنهم ذاهبون إلى إسرائيل يمكنك أن تذهب معهم أو تظل هنا دونهما

بدا التردد الشديد على وجهي فدفع فوهة مسدسه في ضلوعي بينما يستطرد في عنف:

– هيا اهبط

هبطت من السيارة بينما عقلي بداخلي يغلي .. هل سأتخلى عن كل أموالي؟ .. كيف سأعيش؟ .. هل أبدأ من الصفر بعد كل هذا العمر؟ .. لابد أن أذهب معه .. ولكن هل أخون وطني؟ .. أهدم إقتصاد وطني لأبني إقتصاد أعداء وطني؟ وما أن وطأت رجلي الأرض هابطا من السيارة حتى انطلق الوغد بسيارتي وبها كل ثروتي أو ما تبقى منها ووجدتني أعدو خلفه ..

– انتظر أيها الوغد

وفجأة أخرج المسدس من نافذة السيارة وأطلق رصاصة نحوي ورأيته يلقي بالمسدس على الطريق قبل أن تدور الدنيا بي وأسقط مغشيا علي ولم أشعر بنفسي .. ويا لتلك الرواية المشئومة يبدو أنها لن تكتمل .. لن تكتمل أبدا

* * *

أصدرت سيارة الطبيب "عادل فهمي" حشرجة عالية قبل أن تهدأ وتتوقف تماما والتفت الطبيب نحو زوجته التي تجلس في المقعد المجاور له بينما يقول في توتر واحباط واضح:

– لا فائدة .. لقد نفذ الوقود

صرخت زوجته في انهيار:

- منك لله .. لقد أضعتنا

- سيرسل الله لنا نجدة بإذنه تعالى

- لقد رجوتك كثيرا أن نمضي في طريقنا بالأمس

- وهل كنت أعلم أن تلك العاصفة اللعينة ستهب أثناء الليل وتزيل آثار الطريق؟

- كان ينبغي أن تتوقع الأسوأ

- اطمئني سينقذنا الله كما أنقذنا رجل الأعمال وسائقه

- أنقذته بعد أن سلبته نصف أمواله

- هذا حقي .. لقد امتص ذاك الوغد أموال الشعب الفقير

- ألم تكن تنوي المضي وتركهما لمصيرهما؟

– وماذا كان بيدي؟ .. أين كنت سآخذهما معنا والسيارة مزدحمة بك وبأبنائك؟

– لقد بعتني وأبنائي بالمال والذهب والآن ماذا سنفعل؟ هل سنأكل ذهبا؟

– أصمتي أرجوك! .. أصمتي حتى أتمكن من التفكير!

– فيم ستفكر .. لقد حدثت الفاجعة .. لقد ضعنا

– العبد في التفكير والرب في التدبير

قالت "ناهد" موجهة حديثها إلى والدها وقد ترقرقت الدموع في عينيها:

– هل يعني ذلك أننا سنموت من الجوع بعد أن صرنا أغنياء يا أبي؟

– نظر الطبيب نحو ابنته في أسى وهو يقول:

– اطمئني يا ابنتي لن نموت!

قالت "نجلاء" في قلق:

– بل سنموت يا أبي

– تفائلي خيرا يا ابنتي!

قالت "نهى" والدموع تترقرق في عينيها:

– الطعام والشراب على وشك النفاذ يا أبي

– سيرسل الله لنا عونا

قال "يوسف" بينما يبكي:

– إنني جائع يا أبي

ربت الطبيب على ظهر الصغير بينما يقول:

– لا تبك! .. لتكن رجلا!

قالت الزوجة وقد أشاحت بوجهها عنه بعيدا:

– منك لله

– صرخ بها في حنق:

– قلت اصمتي! .. إنك توترينني

– لم تخلف ظني بك أبدا .. دائما كنت ذلك التافه الذي يضيع كل شيء بغبائه

– أما كنت تقولين في مدحي قصائدا من الشعر بالأمس؟

– ظننتك ستتغير وتتصرف بمسئولية حين رزقك الله مالا وفيرا

– قلت اهدئي .. سننجو لو فكرنا بهدوء

– لن ننجو أبدا .. لا أمل .. لا أمل بالمرة

*** * ***

عدت إلى غيبوبتي وها روحي تسبح عبر الهوة السحيقة ثانية أما لتلك الهوة من قاع؟ .. أما

لذلك الظلام الذي يحاصرني من نهاية؟ .. لقد تركت جسدي ملقا على الطريق مصابا برصاصة قاتلة ولست أدري إن كان أحدهم سينقذني أم أن تلك كانت نهايتي وسيسدل الستار على حياتي .. يا لعجائب القدر! إن كان مقدرا لي أن أموت فلماذا كل هذا العذاب؟ .. لماذا أنقذني ذلك الطبيب الوغد وأعاد لي الأمل في الحياة من جديد؟ .. أكان مقدرا لي أن أتعذب لساعات أخر أم أن ذلك كان ثمنا لما اقترفت من جرائم في حياتي وكان لزاما علي أن أسدد كامل ديوني وأتحمل عذاباتي قبل أن أترك ذلك الجسد الفاني خلفي وأنطلق بروحي ترفرف حرة لتواصل رحلتها نحو الجحيم والعذاب الرهيب؟ .. ولكن هل قدر العذاب علي في الدنيا والآخرة أيضا؟ .. ألا

يحتمل أن أعيش في الجنة؟ .. ولكن كيف؟ .. إنني خير من يقيّم نفسه .. أدرك جيدا أن نفسي تحمل في طياتها فيروس الشر وأدرك جيدا أن مثواي جهنم وبئس المصير .. أدرك جيدا أنهم لو أدخلوني الجنة لأفسدتها بشروري .. ولكن لماذا أيأس من رحمة الله؟ .. أليس الله بقادر على غفران ذنوبي؟ .. أليس بقادر على تطهير قلبي؟ .. قلبي؟ .. إنني ما زلت أتحدث كسكان تلك الدنيا الفانية .. أين قلبي الآن؟ .. أنسيت أنني تركته في جسدي المسجى على أسفلت الطريق المعبد؟ .. أستميحكم عذرا فلم أتعود بعد على حياة الروح ولست أعلم بعد إن كنت قد مت وتحررت روحي للأبد أم أن لي من العمر بقية .. أليس من المحتمل أن ينقذني

وغد آخر لأكمل عذابي في تلك الدنيا الفانية الرهيبة؟ .. لعلكم تدهشون من كلامي لأن معظمكم يعرفني .. أنا "حسن رشدي" أكبر رجل أعمال في مصر .. من لا يعرفني منكم يعرف مصانعي وسلعي فأنا المتحكم في كل ما تأكلون وتشربون .. مصانعي تنتج الجبن واللانشون ومزارعي تنتج المحاصيل واللحوم الطازجة والمجمدة والبيض والدجاج وما لا أنتجه تستورده مجموعة شركاتي .. لا أظن أحدكم لم يسمع عن"مجموعة شركات رشدي" إننا نستورد كل شيء تقريبا وأهم ما نستورده هو القمح والذي منه يأتي خبز الفقراء .. إنني أعمل في كل شيء تقريبا .. أعمل في كل ما يجلب المال .. الكثير منكم يحسدني فعلى صغر سني – فلم

أتعدى الأربعين بعد – إلا أنني صرت من أهم رجال الأعمال في مصر بل أستطيع أن أجزم أنني أهمهم على الإطلاق .. لا أدري كم مضى من الوقت فلست أشعر بالزمن ولكنني سأنتهز فرصة ذاك التواصل العقلي بيني وبينكم وأقص عليكم من البداية حكايتي ولكن بعد أن أتخلص من ذلك الحزن الرهيب الذي أصابني بسبب ما حدث لعائلة الطبيب فعلى الرغم من أنه وغد خسيس إلا أنه قد أنقذ حياتي .. صحيح أنه ابتزني وسلبني نصف أموالي ولكنه إن تركني لضعت وضاعت كل أموالي .. قد تدهشون حين أروي لكم تفاصيلا دقيقة لم أكن طرفا فيها وفي أماكن لم أكن فيها .. لست أدري كيف عرفت تلك التفاصيل ولكنني عرفت .. ذلك مثل ما

حدث لعائلة الطبيب "عادل فهمي" بعد أن تركتهم خلفي في الصحراء فبالرغم من أنني لم أكن معهم إلا أنني قد وجدتني أعرف كل ما حدث لهم وبالتفصيل كما لو أنني قد اخترقت حدود الزمان والمكان بروحي .. صدقوني للروح أسرار غريبة وقدرات عجيبة ولم أكتشف سوى القليل منها بعد وأعدكم أن أخبركم لو اكتشفت شيئا عنها في حينه .. وقبل أن أبدأ قصتي أود أن أخبركم أنني لم ولن أكن خائنا .. لم أخن وطني قط ولكن ما حدث كان فخا وقد نصب لي بإحكام وسقطت به كالغر الساذج .. وكما يقولون "لكل حصان كبوة" .. ولكنني – ولله الحمد – أفقت في الوقت المناسب أو ربما بعد

فوات الأوان ولكن المهم في الأمر هو أنني قد أفقت .. أفقت من كبوتي ..

ولن أطيل عليكم ..

الآن هيا بنا ..

هيا بنا لنعود ..

لنعود إلى حيث البداية ..

والبداية لم تكن هنا ..

لم تكن في مصر ..

بل كانت هناك ..

في إسرائيل

* * *

خطا "دافيد حاييم" أخطر ضابط مخابرات اسرائيلي خطوات واثقة قوية في أحد ممرات مبنى المخابرات الإسرائيلية "الموساد" وتوقف أمام حجرة المدير وطرق بابها بطرقات قوية متتالية وما أن سمع مدير الموساد يدعوه للدخول حتى دلف إلى الداخل وأغلق الباب خلفه ثم اقترب من مدير المخابرات الذي إنهمك في قراءة بعض التقارير أمامه بينما يقول:

- هل استدعيتني يا سيدي؟

رفع مدير الموساد عينيه عن التقارير وأشار بإحدى راحتيه نحو مقعد وثير إلى يمين مكتبه بينما يقول:

- إجلس أدون حاييم!

جلس حاييم بينما يتمتم:

- شكرا سيدي
- لقد عشت طويلا في القاهرة أدون حاييم؟
- إنني من أصل مصري يا سيدي
- وعملت في سفارتنا هناك أيضا لفترة طويلة
- نعم .. لقد كنت مسئول أمن السفارة هناك لفترة
- لذا فلغتك العربية قوية للغاية
- بالضبط يا سيدي
- ولهجتك مصرية خالصة
- تماما يا سيدي
- هذا سيساعدك في مهمتك القادمة كثيرا أدون حاييم
- لقد شوقتني لتلك المهمة يا سيدي

ألقى مدير المخابرات أمامه مغلفا مليئا بالصور بينما يقول:

– انظر لتلك الصور جيدا!

فتح حاييم المغلف وأخرج الصور وراح يتطلع إليها في دهشة قبل أن يقول:

– من هذا الرجل؟

– ألا تعرفه؟

– لقد رأيته من قبل و ..

ألقى أمامه بمغلف آخر يحوي مجموعة من الأوراق بينما يقول:

– ستجد كل المعلومات عن الرجل في تلك الأوراق

أمسك حاييم المغلف وأخرج الأوراق منه بينما استطرد مدير الموساد قائلا:

- أريدك أن تدرس تلك الأوراق جيدا

- وما المطلوب بالضبط يا سيدي؟

- هدفنا هذا الرجل

- هل نقتله؟

- ألا تعرف سوى القتل؟

- ماذا تريد بالضبط يا سيدي؟

- نريد الرجل معنا

- أيعني ذلك أن نجنده؟

- بل نريده هنا معنا .. ألا تفهم؟ .. نريده هنا معنا

* * *

www.riwaya.ml

"سهير ابنتي حبيبتي .. لابد أن تعي مصلحتك" نطقت الأم بتلك العبارة وهي تربت على أحد كتفي ابنتها في حنان بينما انهمكت ابنتها "سهير" في وضع بعض اللمسات الأخيرة على مكياجها في غرفة نومها فنظرت "سهير" نحو والدتها في دهشة بينما تقول:

– ماذا تقصدين يا أمي؟

– أنت زوجة أغنى رجل في مصر .. زوجة "حسن رشدي" صاحب "مجموعة شركات رشدي" .. لديك زوج تحسدك عليه كل فتيات جيلك ومع ذلك لا تفعلين ما تكفلين به مصلحتك

– ماذا تريدين مني أن أفعل يا أمي؟

– لماذا لم تنجبي له وريثا حتى الآن؟

– ليس الأمر بيدي يا أمي

– بيد من إذن يا ابنتي؟

– لقد أقنعته في البداية أن نؤجل الحمل خوفا على جسدي ومظهري ولكنني تراجعت عن تلك الفكرة وغلبتني مشاعر الأمومة وأردت طفلا يؤنس وحدتي و"حسن" كما تعلمين يهتم بعمله كثيرا ويهملني .. إنه دائما في عمله ولا يعود إلا بعد منتصف الليل وما يلبث أن يسقط في النوم من التعب

– كل الرجال هكذا يا ابنتي

– "حسن" ليس ككل الرجال .. ذلك الرجل عمله يمثل كل حياته يا أمي

– لولا ذلك لما صار أهم وأغنى رجل أعمال في مصر يا ابنتي

– ولكن ذلك على حساب حياتي يا أمي

– ولكنه يؤمن لك حياة رغدة لم تحلمي بها يوما يا ابنتي .. لديك أفخم فيلا في مصر ولديك أفخم سيارة بل وهناك طائرة هليوكوبتر تحت أمرك

– ليس المال والجاه كل شيء يا أمي إنني افتقد الدفىء الأسري

– لو أنجبتي له طفلا قد يجذبه حنينه الأبوي إليكما معا

– ليت الأمر بيدي يا أمي!

– لنذهب إلى الطبيب

– ذهبت للكثير من الأطباء يا أمي

– وماذا قال الأطباء؟

– جميعهم أكدوا أنني سليمة تماما

– وماذا عنه؟

– إنه يرفض الذهاب إلى الطبيب .. يرفض تماما يا أمي

* * *

أشار مدير المخابرات المصرية بإحدى راحتيه نحو مقعد وثير إلى يمين مكتبه إلى المقدم شريف زيدان بينما يقول:

– تفضل بالجلوس يا سيد شريف!

جلس المقدم شريف بينما يتمتم:

– أشكرك يا افندم

فتح مدير المخابرات ملفا أمامه وتناول منه صورة مد يده بها نحو المقدم شريف بينما يقول:

– هل تعرف ذلك الرجل يا سيد شريف؟

مد المقدم شريف يده يلتقط الصورة ثم تفرس بها قليلا قبل أن يقول:

– بالطبع أعرفه يا افندم .. إنه "دافيد حاييم"

– بالضبط يا سيد شريف ولعلك تعرف أيضا أنه من أخطر ضباط الموساد إن لم يكن أخطرهم على الإطلاق

– أعلم ذلك جيدا يا افندم

– هذا الرجل تقدم لوظيفة في "مجموعة شركات رشدي"

فغر المقدم شريف فاه دهشة بينما يقول ساخرا:

– يبدو أن ضباط الموساد يعانون البطالة نوعا ما

ابتسم مدير المخابرات قبل أن يستكمل حديثه قائلا:

– لقد تقدم الرجل للوظيفة تحت اسم مستعار بالطبع "أكرم شوقي" والعجيب أن الرجل استطاع خلال فترة وجيزة أن يكسب ثقة "حسن رشدي" رئيس مجلس إدارة المجموعة وصار مدير أعماله بل وصار الذراع اليمنى له وكاتم أسراره

– لكن لماذا؟

– تعلم تماما أن "حسن رشدي" عقلية اقتصادية جبارة

– إذن فكيف انخدع بالرجل؟

– لا أدري ولكنه انخدع .. الخطورة تكمن في أن "حسن رشدي" هذا يمثل عصبا هاما وعمودا

من أعمدة الإقتصاد المصري .. الرجل يتحكم في كثير من السلع سواء بالتصنيع أو الإستيراد

- لماذا لا ننبه الرجل؟

- ليس هذا حلا .. فلو أحس حاييم بأن أمره قد انكشف فقد يقدم على قتل الرجل بدم بارد

- لماذا لا نقبض عليه؟

- لا يمكننا ذلك لعدة أسباب

- ما هي؟

- السبب الأول: الرجل لديه جنسية أمريكية والقبض عليه قد يثير أزمة دبلوماسية

- والثاني؟

- ليس لدينا أي دليل ضده وأوراقه المزورة التي تم تعيينه بها قد اختفت تماما

- هل هناك من سبب ثالث؟

– نعم

– ما هو؟

– من نعرفه خير ممن لا نعرفه

– ماذا تقصد؟

– لو قبضنا عليه أو قمنا بتصفيته سيرسلون شخصا لا نعرفه لإتمام المهمة وبذا سنفقد طرف الخيط

– وما المطلوب منا بالضبط؟

– نريد أن نعرف ماذا يريد بالضبط والهدف مما يفعل

– ذلك بسيط للغاية

– ليس ذلك فحسب

– ماذا أيضا يا افندم؟

– نريد إفشال خطته تماما فمن المؤكد أنها لن تكون في صالحنا .. لن تكون في صالحنا على الإطلاق

* * *

توقفت سيارتي الفارهة بعد منتصف الليل في حديقة فيلتي الجميلة الكائنة في التجمع الخامس بالقاهرة وأطفأ السائق أضواءها وهبط منها وأسرع يفتح لي بابها الخلفي في احترام بالغ ويحمل حقيبتي ويتبعني إلى باب الفيلا وما أن وصلت إلى الباب حتى التفت إلى السائق وأخذت منه الحقيبة بينما أقول بلهجة قوية صارمة:

– يمكنك الإنصراف ولتعد في الثامنة من صباح الغد

بدا الضجر على وجه السائق بينما يتمتم:

– متى سأنام ومتى سأستيقظ و ..

قاطعته قائلا في صرامة:

– ماذا تقول؟

– لا شيء يا افندم .. لا شيء

– انصرف! .. هيا!

انصرف السائق بينما يغمغم بكلمات غير مفهومة بينما أخرجت مفتاح الفيلا من جيب سترتي وفتحت الباب فاستقبلتني الخادمة بوجه بشوش بينما تقول:

– هل أعد لك الطعام يا سيدي؟

– لا .. لقد كنت في عشاء عمل

سلمتها الحقيبة بينما أقول:

– أين سيدتك "سهير"؟

– في حجرتها يا سيدي

أسرعت أرتقي درجات سلم الفيلا عدوا ثم خطوت بهدوء نحو غرفة النوم بينما أتحسس علبه صغيرة في جيب سترتي تحوي خاتما ماسيا ثمينا أحضرته خصيصا لأفاجئها به فقد كانت الليلة ليلة عيد ميلادها .. تسحبت بهدوء حتى وصلت إلى غرفة نومنا وفتحتها بهدوء .. كانت "سهير" مسترخية على الفراش تتحدث عبر الهاتف و ..

ولاحظت ارتباكها الشديد عند دخولي وسقطت سماعة الهاتف من يدها فالتقطتها بارتباك بالغ و ..

- سلام الآن .. فيما بعد .. فيما بعد

ووضعت سماعة الهاتف وماتزال على ارتباكها و ..

- من كان على الهاتف؟

- إنها والدتي

- ولكن والدتك تنام مبكرا و ..

قاطعتني قائلة في غضب:

- ولكنها اليوم ساهرة ولم تنم

- لماذا أغلقتي الخط لقد كنت أريد أن أتحدث إليها؟

- غدا نتصل بها

- ولماذا لا نتصل الآن؟

- لقد كانت ذاهبة للتو لتنام

هززت رأسي متفهما أو هكذا بدوت بينما أقول:

– حسنا .. سنتصل بها في الغد

نهضت عن الفراش واقتربت مني في دلال وقالت:

– إنها المرة الأولى التي تأتي فيها متسحبا

– هه؟

تذكرت أمر الهدية فتصنعت التبسم وإن بدت ابتسامتي باهتة وأخرجت العلبة التي تحوي الخاتم وفتحتها مقربا إياها منها بينما أقول:

– كل عام وأنت بخير يا حبيبتي .. ما رأيك في تلك الهدية؟

بدا الإنبهار في عينيها بينما تختطف الخاتم من العلبة التي كنت أمسك بها ووضعته حول أصبعها بينما تقول:

– رائع .. جميل للغاية

وضمت نفسها إلي بينما تستطرد في دلال:

- حفظك الله لي يا حبيبي ولكن ..

- ولكن ماذا؟

- أريد هدية أخرى!

يا لتلك المرأة الشرهة! لقد كلفني هذا الخاتم ثروة طائلة .. ألا تشبع أبدا؟ .. نظرت إليها بضيق قائلا:

- ماذا تريدين أيضا؟

- أريد طفلا منك!

شعرت وكأنها تطعنني في رجولتي فصرخت بها:

- ألا تملين من تكرار ذلك السخف؟

صرخت بي قائلة:

- لم ولن أمل حتى تذهب إلى الطبيب

صرخت بها وقد تملكني العناد كطفل صغير:

– قلت لك لن أذهب

– ألا تريد طفلا يدعوك "أبي" وتضمه إلى صدرك؟

– لن أذهب

– يبدو أنك تعرف شيئا وتخفيه عني

يا لتلك المرأة! .. إنها تلمح تلميحات سخيفة تطعنني في رجولتي .. أحسست بالغضب يتصاعد في رأسي واحتقن وجهي ودفعتها بعيدا فأسقطتها على الفراش بينما أصرخ بها:

– ابتعدي عني!

بدأت في النشيج والبكاء بينما تدفن وجهها في وسادتها وتصرخ:

– لقد حولت حياتي جحيما .. حولت حياتي جحيما

* * *

طرق النقيب سالم سرحان باب غرفة مكتب المقدم شريف زيدان وما أن سمع الأخير يدعوه للدخول حتى فتح الباب ودلف إلى الغرفة واقترب من المقدم شريف الجالس إلى مكتبه بينما يقول:

- هل استدعيتني يا افندم؟

أشار المقدم شريف إلى مقعد أمامه بينما يقول:

- اجلس يا سالم! .. أريدك في شيء هام

جلس النقيب سالم سرحان بينما يقول:

- أشكرك يا افندم

قال المقدم شريف في لهجة بدت ساخرة:

– سالم! .. ألا تريد التعيين في وظيفة تؤمن بها مستقبلك؟

ابتسم النقيب سالم بينما يقول:

– يبدو أنك اليوم في مزاج حسن للغاية يا افندم

– ليس هذا هزلا يا سيادة النقيب

قال في قلق واضح:

– هل تعني أنكم قد استغنيتم عن خدماتي و ..

ابتسم المقدم شريف زيدان بينما يقول:

– لا يذهب رأسك بعيدا!

– ماذا تعني إذن؟

– تلك مهمتك القادمة

– أي مهمة تلك؟

– نريدك موظفا عاديا في "مجموعة شركات رشدي"

– "مجموعة شركات رشدي" ؟

قال المقدم شريف مبتسما:

– كل أقرانك وشباب جيلك يتمنى تلك الفرصة على ما أظن

– ولكن لماذا؟

أمسك بصورة كانت فوق مكتبه ومد يده إليه بها بينما يقول:

– من أجل هذا الرجل

مد يده يتسلم الصورة وحملق بها بينما يقول:

– ومن هذا الرجل بالضبط؟

– إنه يدعى "أكرم شوقي" مدير أعمال "حسن رشدي"

– وما المطلوب بالضبط؟

– هذا الرجل هو أخطر ضابط مخابرات إسرائيلي ويحمل أوراقا مزيفة وإسما مزيفا ويعمل لدى رجل الأعمال الشهير "حسن رشدي"

– والمطلوب؟

– مطلوب معرفة ماذا يريد بالضبط؟

– فقط؟

– مطلوب منا أن نحصي عليه أنفاسه أيضا

– ذلك أمر بسيط

– ليس كما تتصور

– ماذا تعني؟

– الرجل كالثعلب الماكر تماما إنه خطير للغاية ولن يتورع عن قتلك لو اكتشف الأمر لذا لا أريدك أن تثير حولك أي شبهة مهما كانت الأسباب

- حسنا ولكن ..

- ولكن ماذا؟

- كيف سيتم تعييني في تلك الشركة؟

- بقدراتك ومجهودك

- ماذا تعني؟ .. لماذا لا نوسط وزير الإقتصاد مثلا فالرجل صديقه؟

- لا .. لا نريد لديفيد حاييم أن يأخذ حذره منك وأمسك بجريدة أمامه ومد يده بها نحوه بينما يقول:

- ها هي الجريدة و"مجموعة شركات رشدي" تطلب موظفين وستتقدم للوظيفة بطريقة عادية .. عادية للغاية

*** * ***

جلست إلى مكتبي والشك يكاد يقتلني .. منذ ليلة عيد ميلاد زوجتي حين لاحظت ارتباكها والشيطان يتلاعب برأسي .. بدأت أشك بها وبدأت ألحظ تصرفات غريبة لم أكن ألتفت إليها أو ألحظها من قبل .. إنها ولا شك تخونني .. ولكن أليس من المحتمل أنني أظلمها؟ .. لابد وأن أعثر على الدليل .. نعم الدليل الذي سيقطع الشك باليقين .. لابد وأن أضبطها متلبسة بفعلتها .. متلبسة بجريمتها .. تلك الخائنة .. لقد انتشلتها من الفقر ورفعتها إليّ .. لقد كانت مجرد سكرتيرة لعينة لا تملك سوى مرتبها الحقير .. رفعتها إلى مرتبة الهانم وجلبت لها الخدم والحشم تأمر هذا وتنه هذا

والجميع يحسب لها ألف حساب .. أسكنتها في فيلا لم تحلم بها يوما ولا تخيلتها في أفضل وأجمل أحلامها .. أهديتها مالا وذهبا وألماسا بلا حساب .. سخرت كل أموالي وممتلكاتي لخدمتها وإسعادها ولكنها لم تصن النعمة .. تماما كالخنزير الذي تنظفه فيعود ويتمرغ في الطين .. يا لتلك الحقيرة! .. أقسم أن أقتلها ..

رفعت سماعة الهاتف وجاءني صوت السكرتيرة عبره تقول:

- أمرك يا افندم؟

- أريد "أكرم شوقي" في مكتبي فورا!

- فورا يا افندم

وما هي إلا لحظات حتى كان أكرم يطرق باب غرفتي نظرت نحو الباب بينما أقول:

– أدخل يا أكرم

فتح أكرم الباب ودلف إلى الداخل واقترب مني بينما يقول:

– أمرك يا افندم؟

– ماذا فعلت في موضوعي يا أكرم؟

– أي موضوع يا افندم؟

قلت في ضيق:

– موضوعي الذي كلفتك به

– موضوع السيدة "سهير"؟

قلت في ضجر:

– نعم .. زوجتي يا رجل

– لقد وضعنا تليفون الفيلا تحت المراقبة الدقيقة و ..

قاطعته قائلا في ضيق:

- بإيجاز يا رجل!

تردد قليلا وأطرق بوجهه نحو الأرض بينما يقول:

- الأخبار ليست بسارة يا افندم

- تكلم يا رجل!

- ولكن ..

قلت أشجعه:

- تكلم! فأنا على علم بكل شيء

- إنها تتحدث إلى شخص ما عبر الهاتف

- ما اسمه؟

- "خالد عامر"

نهضت عن مقعدي مشدوها بينما أكرر:

- "خالد عامر"؟

- هل تعرفه يا افندم؟

– نعم .. إنه ..

– إنه من؟

– إنه خطيبها السابق و ..

صمت أفكر مليا في الأمر قبل أن ألتفت إلى أكرم بينما أستطرد:

– فيم يتحدثان؟

– حبهما

أحسست بقلبي يسقط بين قدمي .. ويل لها مني! .. الويل لتلك الخائنة! .. أقسم أنني سأقتلها .. ولكن ..

– أريد دليلا! .. أين الدليل؟

– اليوم ستقابله في شقته في السابعة مساء

الخائنة تعلم أن لدي عشاء عمل هام اليوم وأنني سأنهمك به حتى الثمالة ولن أعود قبل منتصف الليل ولكن لا ..

– اتصل وأجّل عشاء عمل اليوم إلى الغد

– ولكنه موعد هام للغاية ولقد تم تأجيله من قبل

– فلتتصرف يا أكرم! .. أخبرهم أن وعكة صحية مفاجئة قد أصابتني! .. تصرف يا رجل!

– حسنا .. أستأذنك يا افندم

وأذنت له بالإنصراف وهم أكرم أن ينصرف خارجا من مكتبي عندما هتفت به صائحا:

– انتظر!

عاد إلي بينما يقول:

– أمرك يا افندم؟

– هل أحضرت ما طلبت منك؟

أخرج أكرم مسدسا من جيب سترته وسلمه إلي فأخذته منه ووضعته في جيب سترتي بينما أستطرد:

– أين عنوان الرجل؟

– من؟

– "خالد"

أخرج ورقة صغيرة من جيب سترته مد يده بها إليّ بينما يقول:

– ها هو العنوان

التقطت الورقة من يده ووضعتها في جيب سترتي بينما أقول:

– حسنا .. يمكنك أن تنصرف!

وانصرف أكرم بينما كنت أغمغم قائلا:

– ويل لكما! .. ويل لكما مني!

* * *

في السادسة تماما كنت أجلس خلف مقود سيارتي أرقب مدخل البناية التي يقطن فيها ذلك المدعو "خالد عامر" بعد أن منحت السائق إجازة لبقية اليوم على أن يعود في الغد وراحت الثواني تمضي في بطء شديد وكأنها لا تريد أن تمضي حتى ظننتها تتقدم لثانية وتعود لثانية مرة أخرى .. كانت أفكاري تصور لي أشياء مرعبة قد حدثت فأرى زوجتي في حضنه تارة فيتصاعد غضبي وتتصاعد معه ضربات قلبي ويخيل إلي أحيانا أنني قد ظلمتها فيستريح قلبي

قليلا وأهدأ قليلا ولكن سرعان ما تعود أفكاري ثانية فتتلون بالسواد حتى كاد عقلي أن ينفجر من الحيرة ولكن ما أن دقت الساعة لتعلن أنها السابعة تماما حتى رأيت سيارة زوجتي الفارهة تتوقف أمام البناية وتقطع الشك باليقين وما لبثت أن هبطت منها واختفت داخل البناية وها ضربات قلبي تصل إلى ذروتها حتى خيل إلي أنني أسمع النبضات بأذني .. هبطت من سيارتي وتسحبت نحو مدخل البناية دون أن يراني أحد وتنهدت في ارتياح حينما لم أجد بواب العمارة وتحسست مسدسي في جيب سترتي اطمئن إلى وجوده وضغطت أزرار المصعد وانتظرته في ملل بينما أتلفت حولي ثم ما لبثت

أن حسمت أمري وصعدت أرتقي درجات السلم .. وفي شقة خالد كانت "سهير" تهتف به قائلة:

– لست أدري ماذا تريد مني؟ .. لماذا تطاردني؟

– أريد حبك

– حبي لزوجي

– أحببتك قبله

– ولكنه زوجي

– لقد أحببتني قبله

– لقد انخدعت بك

– بل كان حبنا صادقا

– أرجوك! ابتعد عني!

– لن أبتعد

– إنك تعكر صفو حياتي

– إنني أحبك

– لو كنت تحبني لما حاولت هدم أسرتي وحياتي

– إنني أحبك وهو من اختطفك مني بأمواله

– أرجوك لا تتصل بي ثانية! .. أرجوك!

– حتى صوتك الذي يعيدني للحياة ويعيد الحياة إلي تريدين أن تحرميني منه؟

– إنني أحذرك .. لو اتصلت ثانية سأخبر زوجي

واتجهت نحو الباب وفتحته لتنصرف فوجدتني أمامها وقد وصلت للتو ولم أسمع حرفا مما دار بينها وبين الرجل .. كنت أمسك بمسدسي في يدي وعندما رأيتهما أحسست بالدماء تغلي في رأسي وخيل لي عقلي أشياء رهيبة فلم أتردد

لحظة واحدة وأفرغت رصاصات مسدسي بجسديهما .. أفرغت رصاصات مسدسي كلها

* * *

اتسعت ابتسامة المقدم شريف زيدان بينما يتكيء بمقعده إلى الخلف مبتعدا عن سطح مكتبه بينما يداعب النقيب سالم سرحان الجالس أمامه إلى مقعد على يمين مكتبه قائلا:

– يا لها من وظيفة كبيرة ومرتب كبير!

ابتسم النقيب سالم سرحان بينما رفع كفه في وجه المقدم شريف قائلا:

– اليوم خميس .. هل سنبدأ بالحسد؟

قهقه المقدم شريف زيدان قبل أن يقول:

– لست أدري لم أجد متعتي في ممارسة الحسد معك بالذات؟

قهقه النقيب سالم بدوره قبل أن يقول:

– كما تريد يا سيادة المقدم .. أنت الوحيد المسموح له بذلك

اعتدل المقدم شريف زيدان على مقعده وارتسمت الجدية على ملامحه بينما يقول:

– أليس من جديد؟

– أبدا يا افندم

– ماذا تعني؟

– أكرم شوقي يتفانى في خدمة الرجل

– ماذا تعني؟

– لم يحدث شيء مريب حتى الآن

– هل تعني أن ضابط مخابرات يترك عمله في الموساد ويأتي إلى مصر معرضا أمنه وحياته وسلامته للخطر ليتفانى في خدمة الرجل؟

– أليس من المحتمل أن يكون قد استقال من الموساد ووجد الوظيفة المناسبة لدى الرجل و ..

قاطعه قائلا في صرامة:

– لا تخلط الجد بالهزل

ارتبك النقيب سالم قليلا ثم قال:

– ولكنه يتقاضى مرتبا ضخما و ..

ضرب سطح مكتبه براحة يده بينما يقول:

– كفى هراء!

– ولكن كل ما يحدث يوحي بذلك

– لقد نجح الرجل في خداعك

– لقد أنقذ "أكرم شوقي" رجل الأعمال "حسن رشدي" من مصيبة محققة

– كيف؟

– لقد أراد قتل زوجته بعد أن تأكد من خيانتها له فأنقذه "أكرم شوقي"

– كيف أنقذه؟

– لقد أعطاه مسدسا يحوي رصاصات غير حقيقية من تلك التي تستخدم في السينما

– مستحيل! هذا الرجل شيطان

– ولكن ذلك ما حدث بالفعل

– هل تريد أن تقنعني أن الشيطان من الممكن أن يتوب ويجول يصنع خيرا ويتوقف عن إغواء البشر؟

– ما تفسيرك لما حدث إذن يا افندم؟

بدا عليه التفكير لبرهة من الوقت ثم قال:

– هذا الرجل شيطان وما دام قد أنقذ "حسن رشدي" من حفرة فليس لها سوى تفسير واحد

– ما هو؟

– هناك حفرة أكبر وأعمق يريد إسقاطه فيها

تلعثم النقيب سالم قليلا قبل أن يقول:

– إنه احتمال وارد بالطبع وخاصة أنه هو من كشف له خيانتها

– يبقى هذا هو السؤال الملح الذي يحتاج إلى إجابة

– ماذا تقصد؟

– ما دام "أكرم شكري" لا يريد أن يقتل "حسن رشدي" زوجته فلماذا كشف أمامه خيانتها؟

– هذا ما يحيرني

– كان يمكن من البداية ألا يخبره بالأمر

– ولكنه أخبره بل وأعطاه مسدسه

– مسدس برصاصات غير حقيقية

صمت المقدم شريف لبرهة وبدا عليه أنه يفكر تفكيرا عميقا ثم نظر إلى النقيب سالم بينما يستطرد:

– هل كانت المرأة خائنة بالفعل؟

– أبدا .. إنها ليست خائنة

بدا عليه علامات التفكير للحظات قبل أن يقول:

– هل زرعت الميكروفونات؟

– بالطبع

– أرجو أن تكون قد أخفيتها بمهارة فهذا الوغد ثعلب خطير

– اطمئن يا افندم!

– بمجرد عثورك على طرف خيط فلتبلغني على الفور .. على الفور يا رجل

* * *

www.riwaya.ml

"حتى أنت يا أكرم؟"

نطقت بتلك العبارة متخيلا نفسي "يوليوس قيصر" وقد خانني الجميع بينما أنهض عن مكتبي مركزا بصري في عينيّ "أكرم شوقي" مدير مكتبي في أسى وهو يقف أمامي مطرقا برأسه نحو الأرض في حجرة مكتبي وترقرقت الدموع في عيني بينما أستطرد:

– أنت تخونني يا "أكرم"؟

– لم أخنك أبدا "حسن" بيك

– لقد وضعت كل ثقتي بك و ..

قاطعني قائلا:

– أقسم أنني لم أخنك أبدا

– ماذا تسمي ما حدث إذن؟

– كنت أخاف عليك

– مم؟

– لماذا تسجن أو تعدم والوطن بحاجة ماسة إليك؟

– لم أكن لأسجن يوما واحدا فقد كنت أدافع عن شرفي

– أركان الدفاع عن الشرف غير مكتملة

– كيف؟

– لم تضبطهما متلبسين بجريمتهما .. لقد كانا بكامل ملابسهما و ..

– مجرد ذهابها إلى شقته خيانة وجريمة لا تغتفر

– ولكن المحكمة لن تأخذ بتلك الأسباب

– لماذا لم تخبرني؟

– كنت غاضبا جدا ولم تكن لتقدر الأمور

– لقد خدعتني!

– لو وضعت بالمسدس رصاصات حقيقية لكنت الآن في النيابة تواجه التحقيقات والسجن

– ليس هذا من شأنك

– بل هو شأني .. فلو سجنت – لا سمح الله – ستكتب الصحف وبمجرد إعلان الخبر كانت أسهم المجموعة ستنهار وتصبح بلا ثمن

هتفت به في غضب بينما أشير بسبابتي إلى صدري:

– إنها مجموعة شركاتي أنا .. أنا من صنعتها بعرقي ومجهودي

– ولكنني مسئول عن تلك المجموعة بحكم وظيفتي .. لقد حملتني المسئولية وأنا تصرفت في حدود مصلحة المجموعة

– لا أحد يقدر مصلحة مجموعة شركاتي مثلما أفعل

– ولكنك كنت غاضبا جدا والغضب قد يؤدي للتهور و ..

– التزم حدودك يا رجل!

– آسف "حسن" بيك ولكن ..

– لكن ماذا؟

– إنني مستعد لتقديم إستقالتي فورا

- تعلم أنني لا أستطيع الإستغناء عنك ولكن لابد لتلك الخائنة أن تدفع الثمن

- ستدفع الثمن .. أعدك بذلك

- متى؟

- بعد أن تهدأ الأمور

- وكيف أعيش معها وأنا أعلم يقينا أنها تخونني؟

- طلقها!

- ولكنني ما زلت أحبها

- عجبا! لقد كنت على وشك قتلها

- ولكن ..

- ليس من لكن .. لابد وأن نفيق لأعمالنا ومصالحنا

- إنني أعاني ألما نفسيا رهيبا

– أسهمنا في البورصة تتراجع لابد أن نفيق لأنفسنا

– لم أكن أتصور أن تخونني "سهير" يوما

– النساء كلهن خائنات

– ماذا ينقصها؟ .. لقد منحتها حبي .. منحتها حياتي .. منحتها كل شيء .. كل شيء

* * *

"من "عباس سليمان" هذا؟"

نطقت بتلك العبارة في دهشة بينما أعود بمقعدي إلى الوراء مركزا ناظري على "أكرم شكري" الذي يقف أمامي في حجرة مكتبي بارتباك واضح فأجابني "أكرم" قائلا:

– "عباس سليمان" هذا رجل أعمال هام للغاية ولكن يتردد أنه مجرد واجهة لشخصية سياسية هامة وخطيرة للغاية

– هو مجرد ستار يخفي من خلفه إذن؟

– بالضبط "حسن" بيك

– وماذا يريد مني بالضبط؟

– لست أدري "حسن" بيك

عدت إلى الأمام بمقعدي وضممت قبضتي ضاربا بها سطح مكتبي بينما أصرخ به في غضب:

– كان لابد أن تعلم

– لقد رفض التصريح بسبب الزيارة "حسن" بيك

– لماذا منحته موعدا إذن؟

تلعثم قليلا قبل أن يقول:

- هذا الرجل خطير للغاية ولا يمكننا رفض طلبه
- إنني لا أخاف أحدا
- يمكنه أن يدمرنا بعلاقاته إنه كالأخطبوط
- لست مطمئنا لمقابلة الرجل

نظر "أكرم" في ساعة يده بينما يقول:

- إنه قادم الآن وسنعرف ما يريد ولكن ..
- ولكن ماذا؟
- أريد أن أنبهك لشيء هام "حسن" بيك
- تكلم!
- أيا كان ما يريد الرجل لابد أن تستمهله بعض الوقت للتفكير
- لماذا؟
- قد نتسرع في قرار يضر بالمجموعة
- حسنا .. إنني ..

قطع حديثنا صوت طرقات خفيفة على الباب .. كانت طرقات السكرتيرة فقد كنت أعرفها واعتدت عليها ..

- ادخل

دلفت سكرتيرتي الحسناء الفاتنه إلى حجرة مكتبي وأغلقت الباب خلفها واقتربت من مكتبي بينما تقول:

- السيد "عباس سليمان" يطلب الإذن بالدخول

- دعيه يتفضل

انصرفت السكرتيرة وما هي إلا لحظات حتى طرق الرجل باب مكتبي بطرقات رزينة هادئة فنهضت عن مكتبي استقبله بترحاب شديد عند الباب رغم ضيقي وقلقي منه وشددت على يده وقدته نحو مائدة الإجتماعات وجلست على

رأسها بعد أن أجلسته إلى يساري وتبعنا أكرم شوقي فجلس إلى يميني صامتا تماما بعد أن طلبت منه ذلك قبل وصول الرجل ..

- لقد طلبت مقابلتي "عباس بيك"

- لقد تشرفت بمقابلتك "حسن" بيك

- خيرا إن شاء الله؟

- سيادتكم "حسن" بيك مثال جيد لرجل الأعمال المجتهد الناجح

- أخجلتم تواضعنا "عباس" بيك

- لقد ابتسم الحظ لك "حسن" بيك

- كيف؟

- تعلم أنني وكيل أعمال لشخصية هامة للغاية

- سمعت عن ذلك ولكنني ظننت الأمر مجرد إشاعات

– الأمر صحيح تماما "حسن" بيك

– ومن تلك الشخصية التي تمثلها "عباس" بيك؟

– ذلك خط أحمر "حسن" بيك .. من الأفضل ألا تسل عن ذلك

– أليس من الأفضل أن أعلم مع من أتعامل بالضبط؟

– من مصلحتك ألا تعلم

– إذن فأنت تصر على أن تظل غامضا؟

– أنا واضح للغاية "حسن" بيك ولكن من يقف ورائي يصر على الغموض

– وكيف ابتسم لي الحظ في رأيك "عباس" بيك؟

– لقد وقع اختيار سيادته عليك لينعم عليك بمشاركته

بدا الحنق واضحا على وجهي بينما أقول:

- ينعم علي؟

- نعم

- ولكنني لا أحب المشاركة و ..

قاطعني قائلا:

- فكر في الأمر أولا "حسن" بيك! .. لا ترد الآن!

- وبم سيشاركني سيادته؟

- لست أفهم ما تعني

- بكم سيشارك سيادته في رأس المال؟

- سيادته لا يدفع أموالا

- بم سيشاركني إذن؟

- تسهيلات .. خدمات .. أعمال .. مناقصات الدولة

- وكيف سيشاركني وهو شخصية غامضة؟
- ماذا تعني؟
- من سيوقع العقود معي؟
- كل شيء سيكون بإسمي
- وإذا رفضت؟
- لن ترفض
- ما الذي يجعلك واثقا إلى هذا الحد؟
- كل رجل أعمال في مصر يتمنى العمل مع سيادته
- كيف يتمنون العمل معه دون أن يعرفوه؟

ضغط الرجل أسنانه بينما يقول:

- إنهم يعرفونني أنا
- نعود للسؤال
- أي سؤال؟

- ماذا لو رفضت؟

- لو رفضت ستندم بقية عمرك

وضغط على مقاطع كلماته بينما يستطرد:

بل ما بقي من عمرك لن يكفي .. لن يكفي للندم "حسن" بيك

*** * ***

جلست في مقعدي وهموم الدنيا تملأ رأسي وأشرت نحو مقعد وثير إلى أحد جانبيّ مكتبي بينما أقول "لأكرم شوقي" الواقف أمامي:

- اجلس يا "أكرم"!

- عفوا "حسن" بيك

- اجلس يا رجل!

جلس "أكرم" بينما يتمتم:

- شكرا "حسن" بيك

- ما رأيك فيما حدث؟

- الرأي لك "حسن" بيك؟

- هل أجريت التحريات التي طلبتها منك حول "عباس سليمان"؟

- بالطبع "حسن" بيك لقد أجريت إتصالاتي وتأكدت من كل شيء

- من تظن وراء الرجل؟

- لست أدري ولكن يتردد أن وراءه شخصية خطيرة للغاية

- وما مدى الخطورة في الأمر؟

- يمكنهم تدمير مجموعة شركاتنا تماما

- هكذا بمنتهى البساطة؟

- يمكنهم إيقاف كافة أعمالنا
- كيف؟
- إنهم يتحكمون في كافة مناقصات الدولة
- يمكننا الإستغناء عن شركة الإستيراد وإيقاف أعمالها
- وماذا عن تصدير منتجاتنا؟
- ألا يمكننا تصريف منتجاتنا في مصر؟
- جل مكاسبنا تأتي من التصدير
- يمكنهم إذن في رأيك تدميرنا بالفعل؟
- للأسف!
- والحل؟
- ليس سوى حل واحد
- ما هو؟
- أن نقبل بمشاركتهم

- أهذا هو الحل؟

- إنه الحل الوحيد

- هل تعي ما تقول؟

- بالطبع "حسن" بيك

- إنهم يريدون نصف ممتلكاتي مجانا

- نعم ولكن ..

- ولكن ماذا؟

- التسهيلات التي سنحصل عليها في المقابل ستعوضنا و ..

قاطعته قائلا في غضب:

- ستعوضنا عما سيأخذون منا مستقبلا ولكن ماذا عن الماضي؟

- ماذا تعني "حسن" بيك؟

– ماذا عن أصول شركاتي التي سأخسر نصفها؟

– سيعوضك الله عنها "حسن" بيك؟

– متى؟

– لست أفهم ما تعني

– سأحتاج لعمر كعمري الذي مضى لأعوض خسائري

– ليس أمامنا سوى هذا الحل حاليا "حسن" بيك

– فلتفكر في حل أخر يا أكرم .. إنك صديقي ولست مجرد مدير لأعمالي

– لدي حل آخر لكن ..

قلت أرجوه كالغريق الذي تعلق في قشة:

– تكلم يا رجل!

– يقولون أن رأس المال جبان

أومأت برأسي موافقا بينما أقول:

– نعم .. نعم

– وهذا لأن رأس المال يحتاج إلى مناخ جيد وقوانين جيدة تحافظ عليه وتحميه

– بالضبط

– لذا فرأس المال لا ينمو في جو ملبد بالفساد

– طبعا

– ماذا يجبرنا على العمل هنا في هذا الجو الفاسد؟

– هل تعني .. ؟

– نعم .. نجمع أموالنا ونمضي من هنا

– نهاجر؟

– نعم

– وأتخلى عن وطني؟

- بل تتخلى عن الفساد الذي يطاردك في وطنك
- وأبيع وطني؟
- وطنك هو من باعك .. رأس المال لا وطن له
- ماذا تعني؟
- أعني أن نذهب لدولة تقدرنا وتقدر تعبنا

شردت أفكر للحظات وبدا لي أن هذا هو الحل المنطقي الوحيد فانتبهت على صوتي بينما أقول:

- حسنا .. إنني أوافق على هذا الحل
- هل فكرت إلى أين سننقل أعمالنا؟
- نعم
- أين؟
- الولايات المتحدة
- خطأ

– لماذا؟

– هل تظن "عباس سليمان" ومن ورائه سيسمحون لنا بنقل الأموال والأعمال بسهولة إلى أي دولة نريد؟

– وما العمل؟

– تهريب تلك الأموال

– ألا يمكننا تهريبها إلى الولايات المتحدة؟

– كمية الأموال كبيرة ولو أكتشفت ستصادر

– والعمل؟

– لدي أصدقاء في "إسرائيل" يمكنهم تهريب تلك الأموال وتذليل كل العقبات أمامنا

انتفض جسدي كمن لدغه عقرب حين سمعته ينطق لفظ "اسرائيل" فهتفت به مستنكرا:

– ماذا تقول؟

- أقول "إسرائيل"

- ولماذا إسرائيل بالذات؟

- إنها أقرب دولة آمنه إلينا

- إسرائيل آمنة؟

- لا توجد اتفاقية تسليم مجرمين بينها وبين مصر لو أبلغت مصر الإنتربول الدولي

- لدينا بريطانيا كذلك

- ولكن إسرائيل الأقرب ويمكننا بلوغها بالسيارة ومعنا كامل ثروتنا بعد أن نحولها لذهب وألماس

- لكنهم سيتهموننا بالخيانة

- ليست هناك خيانة فبيننا وبين إسرائيل معاهدة سلام .. كما أننا سنذهب للعمل لا لبيع أسرار الوطن

بدا لي كلامه منطقيا ونفضت رأسي لأقاوم الفكرة وسرعان ما هززت رأسي في عنف بينما أقول:

– لا .. اسرائيل لا

– في اسرائيل كل شيء يسير مضبوطا كما الساعة كما أنها دولة صغيرة وبأموالنا سنكون أقوى مؤسسة وأقوى مجموعة شركات وسنملك القوة والنفوذ بينما في الولايات المتحدة والدول الأوروبية سنكون مجرد شركة صغيرة بين مجموعات الشركات

– لا .. لا .. ولو .. إنني لا أتقبل الفكرة

– حسنا لنعتبر إسرائيل مجرد محطة ومنها سننطلق إلي حيث نريد

– لا .. محطة لا .. لنستبعد إسرائيل من كل حساباتنا

– لو استبعدنا إسرائيل ستنهار خطتنا من الأساس "حسن" بيك

– لماذا؟

– لأننا نريد أن نستفيد من الخدمات والتسهيلات التي سيقدمها أصدقائنا هناك ومن دونهم لن نستطيع الخروج من مصر

– وهل ستأتي معي؟

– بل سأسبقك بالطائرة بطريق غير مباشر

– ماذا تعني؟

– سأذهب إلى لندن للتمويه ومن هناك إلى تل أبيب وسأجهز كل شيء وأنسق مع أصدقائنا لإستقبالك

– ولكن ..

– لا تتردد "حسن" بيك إنه الحل الوحيد أمامنا وإلا ضاع كل شيء

– وماذا عن مجموعة شركاتي هنا؟

– سنبيع كل شيء في سرية تامة قبل أن نسافر .. السرية التامة مطلوبة حتى لا تنهار أسهم الشركات في البورصة فلو تسرب الخبر ستنهار أسهمنا في البورصة .. ستنهار تماما

* * *

"هل من جديد؟"

نطق المقدم شريف زيدان بتلك العبارة بينما ينظر بإهتمام إلى النقيب سالم سرحان الذي جلس إلى مقعد أمام مكتبه فأجابه الأخير قائلا:

- معلومات غاية في الخطورة

قال المقدم "شريف" في اهتمام واضح:

- تكلم إذن!

- أتكلم هكذا مجانا؟

- ماذا تعني؟

- ألن تدعوني لفنجان من القهوة؟

رفع المقدم شريف سماعة الهاتف وطلب فنجانين من القهوة وما أن وضع السماعة حتى قال:

- ها .. تكلم يا رجل!

- ألن ننتظر القهوة؟

ابتسم المقدم "شريف" وقد غلبه الفضول فقال:

- تكلم حتى يجيء الساعي بالقهوة!

- حسنا .. نظرا للفضول الشديد الذي قرأته في عينيك سأتكلم ولن أنتظر القهوة رغم أن ذلك ضد مبادئي

- أي مباديء تلك التي تعتمد على القهوة؟

- مبادئي كموظف محترم في"مجموعة شركات رشدي"

اتسعت ابتسامة المقدم شريف بينما يقول:

- حسنا .. تكلم هيا!

قطع حديثهما صوت طرقات خفيفة على الباب ..

- ادخل!

دلف الساعي يحمل فنجانين من القهوة الساخنة وضعها على المكتب فشكره المقدم شريف

وانصرف الرجل وأمسك المقدم شريف بفنجان منهما يناوله للنقيب سالم بينما يقول مبتسما:

– لقد أبى القدر أن يحرمك من مبادئك .. تفضل!

تناول النقيب سالم الفنجان بينما يتمتم:

– أشكرك سيادة المقدم وأشكر القدر

تناول النقيب سالم رشفة من فنجانه بينما ضغط المقدم شريف على أسنانه قائلا:

– هل سأنتظر دهرا قبل أن تتكلم؟

– ألا تمهلني دقائق حتى أنتهي من قهوتي؟

– ليس هذا وقتا للمزاح .. تكلم من فضلك!

وضع النقيب سالم سرحان فنجانه على منضدة صغيرة أمامه وارتسم الجد على ملامحه بينما يقول:

– لقد اكتشفنا الحقيقة كاملة يا سيادة المقدم

– أي حقيقة؟

– الخطة؟

– أي خطة تقصد؟

– خطة الموساد لنسف إقتصادنا

– ماذا تقول؟

– لقد أقنع "أكرم شكري" رجل الأعمال "حسن رشدي" أولا بأن زوجته تخونه رغم أن ذلك لم يحدث

– وبعد؟

– وحينما أراد قتلها أعطاه مسدسا محشوا برصاصات غير حقيقية

– والسبب؟

– لقد أراده ألا يقتلها

- الأهم هو لماذا؟

- لو قتلها سيحاكم وستنهار أسهمه في البورصة

- ولماذا يخاف الإسرائيليين من إنهيار أسهم الرجل في البورصة؟

- لأنهم يريدون منه تسييل تلك الأسهم وتحويلها إلى ذهب وألماس وأموال سائلة؟

- لم؟

- لنقلها إلى إسرائيل

فغر فاه دهشة بينما يقول:

- إسرائيل؟

- بالضبط

- ولكن كيف؟

- لقد جعلوا الدنيا تسود في عينيه

- كيف؟

- أقنعوه أن زوجته التي يحبها ويثق بها خائنة

- ولكن ليس هذا سببا منطقيا أو كافيا

- لقد أقنعوه بأن مصر مليئة بالفساد ولأن رأس المال جبان ويحتاج إلى مناخ صحي لا فساد فيه فالحل هو الهجرة

- الهجرة؟

- إلى إسرائيل

- إسرائيل؟

- نعم

- يا لها من خطة جهنمية!

- وبذا فقد ضرب الإسرائيليون عصفورين بحجر واحد

- ماذا تعني؟

– أعني أنهم يقصدون ضرب الإقتصاد المصري من جهة وبناء إقتصاد اسرائيل من الجهة الأخرى

– وكيف أقنعوا "حسن رشدي" بهذا الكم من الفساد الذي يدفعه لبيع وطنه؟

– "عباس سليمان"

– من "عباس سليمان"؟

– "عباس سليمان" هذا مجرد كومبارس فاشل في السينما اتفق معه "أكرم شكري" الذي هو "دافيد حاييم" على تمثيل دور رجل أعمال يعمل كستار لشخصية سياسية هامة

– وبعد؟

– لقد مثل الرجل الشخصية ببراعة منقطعة النظير حيث رتب "أكرم شكري" له موعدا مع

رجل الأعمال "حسن رشدي" وطلب منه أن يكون شريكا معه بالنصف في كل شركاته دون أي مقابل وإلا سيدمرونه ويدمرون مصالحه

- وبذا أعطوه دافعا قويا للهرب

- بالضبط

- ولكن لماذا إسرائيل بالذات؟ .. لماذا الخيانة؟

- لم يوافق "حسن رشدي" على إسرائيل ولكن الثعلب "حاييم" أقنعه أنها مجرد محطة وسينطلق منها إلى دولة أخرى وإن كنت أشك أن ذلك سيحدث

- بالطبع .. فبعد أن يستولوا على أمواله لن يتورعوا عن قتله

- كم تبلغ ثروة الرجل؟

- أربعون مليارا من الدولارات تقريبا

فغر المقدم شريف فاه في دهشة ثم قال:

- إنها ضربة قوية للإقتصاد المصري .. الأمر جد خطير .. لابد أن نتحرك .. على الفور

* * *

- ما الأخبار يا أكرم؟

- لقد بعنا كل الممتلكات في سرية تامة

- وماذا عن أسهم الشركة؟

لقد بعنا بعضها ولكن ..

قلت في قلق:

- ولكن ماذا؟

- هناك نسبة من الأسهم لا يمكننا بيعها الآن

- لماذا؟

– قوانين هيئة سوق المال تفرض علينا الشفافية

– هذا يعني أننا لابد أن نفصح عن بيعها

– بالضبط

– والعمل؟

– لا تقلق "حسن" بيك

– كيف لا أقلق؟

– سأرتب كل شيء

– كيف؟

– لقد إتفقنا مع شركة متعددة الجنسيات على كل شيء

– علام اتفقتم؟

– الإستحواذ على أسهمنا في المجموعة

– والمقابل؟

– لقد قدموا عرضا سخيا .. لا تقلق "حسن" بيك

– ولكن "عباس سليمان" ومن ورائه لن يرحمونا لو علموا بالأمر

– لقد اتفقت معهم على السرية والكتمان ..

– ولكننا مضطرون لإعلان الصفقة وإلا ستلغى من قبل هيئة سوق المال

– سنعلن عنها بعد أن تتم العملية بالفعل وبسرية تامة ونأخذ أموالنا وننطلق بها إلى اسرائيل

– ولكنهم قد يتبعوننا و ..

– لن يتوقعوا هروبنا إلى إسرائيل بالذات

– نعم

– هذا المكان هو آخر مكان يخطر على بالهم

- إنه آخر مكان خطر على بالي بالفعل

- أرأيت؟

- أنت عبقري بحق يا أكرم

عدل أكرم وضع رابطة عنقه في خيلاء بينما يقول:

- أخيرا علمت قدري "حسن" بيك؟

- ولكنني لم أطمئن لفكرة "إسرائيل" تلك قط

- لقد اتفقنا أنها مجرد محطة "حسن" بيك

- ماذا فعلت بالمال؟

- أي مال؟

- ثمن الممتلكات التي بعتها

- لقد حولتها إلى ذهب وألماس

- وماذا عن ثمن صفقة الأسهم؟

- لن يكون لدينا وقتا لتحويلها

– ولكن الجنيهات المصرية لا قيمة لها خارج مصر

– لقد اشترطت على الشركة متعددة الجنسيات أن تتم الصفقة بالدولار

– حسنا

– كل ما عليك "حسن" بيك أن تضع الأموال والذهب والألماس في حقيبة سيارتك وتنطلق نحو اسرائيل

– ولكنني لا أعرف الطريق

– السائق سيأخذك إلى هناك لقد أفهمته كل شي

مرت الأيام التالية عليّ ولست أدري كيف مرت ولكنني أشكر الله لأنها مرت فقد كاد التوتر والقلق أن يقتلني كنت كمن ينتظر الموت فما

استرحت وما أتى إلي الموت ليريحني كنت عصبيا للغاية في تلك الأيام أغضب لأتفه الأسباب .. الكوابيس تحاصرني في نومي فما هدأت وما تركتني أهدأ ولا أستمتع بنومي .. أحسست في عدة أيام أن عمري قد زاد لسنوات وسنوات .. كثيرا ما رأيت حبل المشنقة في نومي يتدلى ويلتف حول رأسي فأصرخ وأصرخ:

– لست خائنا .. لا أريد أن أموت

كنت أستيقظ من نومي وقد أغرق العرق وجهي وجبيني بينما أكرر:

– لست خائنا .. أحب وطني .. ليس الأمر بيدي .. أرجوكم! لا أريد الموت .. أرجوكم!

وأخيرا جاء اليوم الموعود ولم أكن أشعر بأي فرح أو نشوة بل كان قلبي منقبضا وروحي قد

استقرت في أنفي وتكاد أن تفلت من جسدي .. كان ضميري يؤنبني ويلسعني بنار خيانتي .. أهذا أنا؟ .. لا لست أنا .. إنني لست خائنا .. لقد فعلت كل شر في الدنيا ولكنني لم أخن وطني قط .. تغلبت على هواجسي وتغلبت على نفسي وأمرت سائقي والذي يدعى "عمر السيد" فنقل أموالي وذهبي وألماساتي إلى حقيبة سيارتي وانطلق بي الرجل نحو سيناء لنعبرها إلى إسرائيل وفي ذات الوقت انطلق "أكرم شكري" إلى مطار القاهرة وبينما يقوم الرجل بإجراءات سفره وقبل أن يختم الضابط جواز سفره مباشرة ..

– سيد أكرم تفضل معنا

نظر أكرم نحو الضباط الذين يحيطون به وقد رسم الدهشة على ملامحه وقال:

– ماذا يحدث بالضبط؟

– أنت مقبوض عليك يا سيد "أكرم"

قال مستنكرا:

– بأي تهمة؟

– بتهمة التجسس والتزوير

– قال في دهشة:

– أي تجسس وأي تزوير؟

– جواز سفرك مزيف يا سيد أكرم أم أقول أدون "دافيد حاييم"؟

– لست أفهم عما تتحدثون؟

– تفضل معنا وستفهم كل شيء!

– إنني أمريكي الجنسية وجواز سفري سليم تماما

ومد يده للضابط يسلمه جواز سفره فحملق الضابط في جواز السفر وعلت الدهشة وجهه حين وجد الجواز سليم تماما ولكنه استطرد قائلا في غضب:

– وماذا عن تهمة التجسس؟

– إنني مجرد سائح أمريكي وأتحداكم أن يكون هناك دليل واحد ضدي

– تفضل معنا يا رجل!

– سأقاضيكم لو لم ألحق بطائرتي

أحاط الضباط به كما يحيط السوار بالمعصم فهتف بهم قائلا:

– سأتصل بالسفير .. سأصعد الموضوع إلى أعلى مستوى .. وقد أتصل بالرئيس الأمريكي

– لتفعل ما بوسعك! .. لتفعل ما بوسعك يا رجل!

* * *

www.riwaya.ml

طرق النقيب سالم سرحان باب غرفة مكتب المقدم شريف زيدان وما أن سمع الأخير يأذن له بالدخول حتى دخل وأغلق الباب خلفه واقترب من المقدم شريف بينما يقول فيما يشبه الأسى:

– لقد قبضنا على الرجل يا افندم

– "أكرم شوقي"؟

– "دافيد حاييم"

– ولماذا يبدو عليك الأسى والحزن إذن؟

– الوغد يحمل جنسية أمريكية وجواز سفر أمريكي سليم

– أعلم ذلك

– السفارة الأمريكية أقامت الدنيا وأقعدتها

– ومن أعلم السفارة بمثل تلك السرعة؟ .. لقد أمرتكم بضرورة الإلتزام بالسرية التامة و .. قاطعه قائلا في حنق:

– لقد التزمنا بالسرية التامة ولكن ..

– ولكن ماذا؟

– الإسرائيليون الأوغاد كانوا قد أعدوا خطة بديلة لو انكشف أمر الرجل والأمريكيون يساعدونهم بالطبع

- ماذا حدث بالضبط؟

- بمجرد القبض على الرجل لا ندري كيف تسرب الخبر لوسائل الإعلام والصحف وقامت الدنيا علينا

- ماذا؟

- لقد اتصل السفير الأمريكي بالمسئولين

- وبعد؟

- لقد صدرت الأوامر بالإفراج عن الرجل

- مستحيل!

- هل سنخالف الأوامر؟

- لا ولكن ..

- ولكن ماذا؟

- يمكننا أن نماطل في الأمر

- صعب للغاية

– لا نحتاج سوى اليوم لنقبض على رجلنا ونستعيده وأمواله

– حسنا .. يمكننا المماطلة ليوم واحد

– أريدكم إبلاغ حرس الحدود لإغلاق المعابر تماما وعدم السماح لأي سيارة بالعبور

– إغلاق المعابر تماما صعب للغاية و ..

قاطعه المقدم شريف قائلا في حزم:

– إذن أبلغهم بعدم السماح للسيارات بعبور الحدود المصرية إلا للضرورة القصوى وبعد أن تخضع للتفتيش الدقيق وأبلغهم بمواصفات سيارة "حسن رشدي"

– إنها سيارة فارهة يمكن التعرف عليها بسهولة و ..

– الإسرائيليون يساعدون الرجل وقد يبدلون السيارة أو يفعلون شيئا قد لا نتوقعه لذا فيجب ألا نعتمد إعتمادا كليا على هذا الأمر

– وما العمل إذن؟

– ارسل لهم صورة واضحة للرجل أيضا وبمنتهى السرعة والسرية!

– حسنا سأفعل يا سيادة المقدم

– وليسيّروا دوريات مستمرة لتغلق الحدود كاملة مع "إسرائيل" عبر الصحراء .. الحدود كاملة

*** * ***

كانت السيارة تسير بنا بسرعة وسلاسة وتطوي الأرض طيا وقد استسلمت للنوم العميق طوال

الطريق واستيقظت فجأة ولست أدري ما أيقظني وإذا بي أجد السائق متوقفا إلى جانب الطريق و ..

- ماذا حدث يا عمر؟

- هناك شيء غريب يقلقني

- ماذا يقلقك بالضبط؟

- هناك الكثير من السيارات في الإتجاه المعاكس

- وماذا يعني ذلك؟

- يعني أن هناك خطب ما

- ماذا تظنه قد يحدث؟

- لا أدري ولكن لابد وأن نستكشف الأمر

- لنفعل وإلا سنسقط في فخ قد يكون نصب خصيصا لنا

هبط السائق من السيارة وعبر الطريق إلى الجهة المقابلة وراح يشير للسيارات العابرة في الإتجاه المقابل ولكن السيارات تجاهلته تماما ولم تتوقف إحداها له ومضى وقت طويل قبل أن تتوقف إحداها بمحاذاته وتبادل الرجل الحديث مع سائقها لبعض الوقت قبل أن يرفع يده إليه بالتحية والشكر وتنطلق السيارة في طريقها مبتعدة ويعود الرجل نحو سيارتي وما أن وطئها بقدمه حتى سألته في قلق:

- هل عرفت شيئا؟

- نعم

- تكلم إذن!

- الطريق مغلق برجال الأمن ولا يسمحون لأي سيارة بالعبور عدا في الحالات الإنسانية

والضرورة القصوى وما يمر من سيارات يتم تفتيشه تفتيشا دقيقا للغاية

- إنهم يقصدوننا إذن

- ربما

- بل يقصدوننا بالذات .. كل الدلائل تشير إلى ذلك

- ولكن كيف علموا بالأمر؟

- يبدو أن ما يقال عن أن "الحوائط لها آذان" صحيح تماما

- ربما لم نكن نحن المقصودين

- سواء نحن أو غيرنا فكيف سنعبر بتلك التهمة في حقيبة السيارة؟

- هناك حل واحد

- ما هو؟

- سنعبر من طريق آخر عبر الصحراء
- وهل تعرف ذلك الطريق؟
- بالطبع
- هل أنت متأكد؟
- اطمئن "حسن" بيك!
- ليس أمامي حل آخر

وانطلق الرجل يعبر بنا الصحراء وما لبثت أن سقطت أنا مرة أخرى في النوم فقد كنت متعبا للغاية ذلك اليوم بسبب إجراءات نقل ملكية الأسهم التي استغرقت مني وقتا طويلا صباح اليوم ومرت ساعات لم أشعر بها وإذ بي أستيقظ فجأة بعد فترة من الزمن فأجد السيارة متوقفة في كبد الصحراء والرمال تحاصرنا من كل إتجاه ..

– لماذا توقفت؟

– لقد نفذ البنزين

صرخت به في حنق:

– ماذا تقول؟

– إنني .. إنني ..

– إنك ماذا أيها الأحمق؟ .. لماذا لم تحضر كمية إحتياطية؟

– لم أكن أدري أننا سنتخذ طريق الصحراء هذا .. لقد كنا على وشك الوصول و ..

– قاطعته صارخا:

– لماذا لم تحضر كمية للطواريء في جالون؟

– وأين كنت أضع ذلك الجالون؟

– تلك هي المشكلة أيها الأحمق؟

– حقيبة السيارة مليئة عن آخرها بصناديق المال والذهب والألماس

– وماذا عن الماء والطعام؟

– ليس هناك من مكان

ضممت قبضتي وضربت سطح سيارتي بكل قوتي في غضب قائلا:

– لقد أضعتنا أيها الغبي

– سيرسل الله لنا نجدة

– ومن سيمر من تلك المنطقة القاحلة أيها الغبي؟ .. لقد ضعنا

– لتكن متفائلا "حسن" بيك!

ضغطت أسناني بغيظ بينما أقول:

– متفائل وفي تلك الظروف أيها الغبي؟ .. ألا تشعر بالمصيبة التي أوقعتنا بها؟

وأمسكت بهاتفي المحمول أضغط أزراره فإذا بإشارة الشبكة لا تصل إليه في ذلك المكان أبدا فهتفت بالرجل في حنق:

- لا توجد أي شبكة تغطينا هنا .. إلى أين جئت بنا أيها الوغد؟

- وألقيت بهاتفي المحمول بعيدا بعزم قدرة يدي وبقدر شدة غيظي بينما سمعت السائق يتمتم:

- وما ذنبي أنا؟

- أليس عليك من ذنب؟

- نعم

- ألم آمرك بإحضار بعض الماء والطعام؟

- بلى أمرتني ولقد أحضرتهما

- وأين هما؟

– لم أجد مكانا لهما في حقيبة السيارة ففكرت أن نشتري من على الطريق

– ولماذا فكرت أيها الغبي؟ .. المرة الوحيدة التي فكرت فيها أضعتنا .. أضعتنا بغبائك

* * *

جلس مدير المخابرات المصرية إلى مقعد وثير إلى أحد جانبي مكتب الرئيس وبدا التوتر على ملامحه ظاهرا جليا بينما يقول:

– لقد استدعيتني سيادة الرئيس؟

– نعم

– خيرا إن شاء الله؟

– ماذا يحدث لديكم بالضبط؟

- ماذا يحدث سيادة الرئيس؟

- لماذا تفتعلون أزمة مع الولايات المتحدة؟

- هل وصل الأمر إلى حد الأزمة سيادة الرئيس؟

- أزمة دبلوماسية طاحنة وتصعيد حاد من قبل الأمريكيين

- هذا الرجل ضابط مخابرات اسرائيلي سيادة الرئيس

- كيف وهو يحمل الجنسية الأمريكية؟

- تعلم سيادة الرئيس أن إسرائيل هي الإبنة المدللة للولايات المتحدة

- نعم

- وتعلم أن هناك تعاونا وثيقا بينهما

- أعلم ولكن ..

- هذا الرجل حاول هدم إقتصادنا

- كيف؟

- لقد تنكر تحت إسم مصري وخدع رجل الأعمال "حسن رشدي" وجعله يهرب بأمواله إلى إسرائيل

- "حسن رشدي" صاحب "مجموعة شركات رشدي"؟

- نعم

- ولكنه رجل أعمال وطني وشريف

- لقد خدعه ذلك الشيطان بأساليب شيطانية بارعة

- كيف؟

- لقد صور له أن زوجته خائنة وجعله يسقط في حالة شديدة من الإكتئاب

– أهذا يكفي ليخون الرجل وطنه؟

– ليس هذا فحسب سيادة الرئيس

– ماذا أيضا؟

– لقد أوهمه بوجود فساد رهيب في مصر وأن السلطة السياسية تريد أن تقاسمه أمواله

اتسعت عينا الرئيس في فزع بينما يقول:

– الأوغاد .. هل وصلوا إلى تلك الدرجة؟

– ما خفي كان أعظم سيادة الرئيس

– لديك الحق كل الحق ولكن ..

– ولكن ماذا يا سيادة الرئيس؟

– لابد من إخلاء سبيل الرجل

– ولكن ..

– ليس من لكن .. أعلم أنه مجرم ويستحق الإعدام ولكننا لسنا على استعداد لأزمة

دبلوماسية مع الولايات المتحدة في هذا الوقت بالذات

- ولكن ..

- السياسة هي فن الممكن .. هل لديكم دليل ضد الرجل؟

- لدينا تسجيلات وهو ينصح "حسن رشدي" بالتصرف في أمواله والذهاب إلى إسرائيل

- ليس من قانون واحد في العالم يعاقب على النصح و ..

قاطعه قائلا:

- هل نترك الرجل لينجو بفعلته؟

- ماذا نفعل تجاهه والقانون في صفه والولايات المتحدة تقيم الدنيا ولا تقعدها من أجله؟

- حسنا .. كما ترى سيادة الرئيس

– ماذا فعلتم مع "حسن رشدي"؟

– لقد أصدرنا الأوامر لحرس الحدود بإعتقاله واستعادة أمواله وإعادته قبل أن يهرب بها عبر الحدود

– وبعد؟

– مرت أيام وأيام ولم يعثروا عليه

– إذن فقد هرب الرجل

– لقد اعتقدنا ذلك ولكننا تأكدنا من اتخاذه طريقا عبر الصحراء .. يبدو أنه قد تاه ولكننا تمكنا من رصد مكانه أخيرا

– وماذا ستفعلون؟

– سنقبض عليه طبعا

– بأي تهمة؟

– تهمة الخيانة العظمي .. لقد خان وطنه وكاد أن يهدم اقتصاده

– كيف؟

– مجرد خبر إختفائه بعد تصرفه في أصول وأسهم شركاته أدى إلى انهيار رهيب في البورصة

– ولكن الرجل حر في ماله

– الحرية تنتهي حين تبدأ حرية الآخرين

– ماذا تعني؟

– أعني أنه ليس حرا في تخريب إقتصادنا

– ولكنكم لو قبضتم عليه سيخيف ذلك كل رجال الأعمال الذين يستثمرون في بلادنا وسيخالون لأنفسهم نفس المصير وبذا سنخسر أكثر وأكثر

بالإضافة إلى أن أصغر محامي سيبرأه ويحرره من دون ضمان

– ماذا تريد منا بالضبط يا سيادة الرئيس؟

– أريدكم تركه في الصحراء لبعض الوقت ليعي الدرس ويعود بكامل إرادته

– أي درس ذاك يا سيادة الرئيس؟

– أريده أن يعلم أن الوطن غال لا يقدر بثمن .. لا يقدر بثمن

* * *

وتركوني والسائق لأيام في الصحراء من دون طعام أو شراب رغم علمهم بمكاننا ولما سقطنا في غيبوبة عميقة كادوا أن يتدخلوا لإنقاذنا لولا

الطبيب "عادل فهمي" الذي كان عائدا من الأردن بعد أن عمل هناك طويلا ومعه في حقيبة سيارته أمواله التي إدخرها عبر السنين وبعض مؤن الطريق من طعام وماء وشراب ولما سمع الرجل في طريق عودته عن التفتيش الدقيق الذي يخضع له كل عابر خاف على أمواله وإتخذ طريقا آخرا لدخول مصر عبر الرمال والصحراء وتاه منه الطريق ورماه القدر في طريقنا وأنقذني وأنقذ سائقي وكان بيننا ما كان من صفقات انتهت بأخذه نصف أموالي وأخذي نصف ما معه من مؤن الطريق ونجحت في بلوغ الطريق الإسفلتي المعبد مع سائقي ولكن خوف الطبيب مني دفعه أن يبيت هناك لليلة حتى لا أتمكن بل وأيأس من إيجاده أو

هكذا خيل له وقامت العاصفة الرملية خلال الليل ومحت آثار الطريق وتاه الرجل وأولاده ونجوت أنا وسائقي وما حدث علمني بالفعل أن الوطن غال لا يقدر بثمن كما أراد الرئيس تماما وفرحت بنجاتي وشكرت الله في قلبي وهبطت من سيارتي أسجد له وأقبل الأرض .. ظننت أنني قد نجوت وأن الأيام الصعبة قد مضت ولم أعلم أن للقدر رأي آخر وأن لي مصيرا أخرا وأن الأصعب ليس ما مضى ولكن الأصعب ما هو قادم وفوجئت بشخصية السائق وإذ به "دانيال كاهان" ضابط المخابرات الإسرائيلي وإذ به يطلق الرصاص علي بعد أن غيرت رأيي وصممت على البقاء في وطني ويهرب الرجل بنصف ثروتي بعد أن خسرت نصفها لصالح الطبيب .. وها قد

صرت مفلسا لا أملك حتى قوت يومي .. ولكن لماذا أبكي على مال وجاه وثروة لم تنفعني وقت كنت جائعا تائها في الصحراء؟ بم قد يفيدني المال؟ .. لدي شعور قوي بأنني لم أمت بعد .. لست متأكدا بالضبط ولكنني أعلم جيدا أنني قد عدت بروحي إلى تلك الهوة اللعينة التي لا تنتهي وها روحي ترفرف هابطة خلالها .. عدت أفكر في ذلك السائق اللعين الذي كان يخدعني .. لا لم يكن سائقا قط .. إنه ضابط في الموساد .. لذا لم يطمئن قلبي إليه أبدا .. لقد كان لدي شعور دفين بالكراهية تجاهه .. لا أدري لماذا .. ربما بسبب العجرفة واللامبالاه التي يتعامل بهما معي .. لست أدري لما لم أفصله وأبعده عني كل تلك الفترة التي عمل

فيها معي .. صحيح أنه عمل معي منذ ثلاث أشهر فقط ولكنها ولا شك فترة كافية لكي أتعرف عليه وأكشفه .. وذلك الوغد الذي خدعني "أكرم شوقي" .. لماذا تركته يلعب برأسي؟ .. ذلك الوغد إلام كان يخطط؟ .. أقسم أن أقتله .. وفوجئت بنفسي أكرر بصوت عال:

– أقسم أن أقتل ذلك الوغد

سمعت طبيب المستشفى يقول:

– حمدا لله على سلامتك .. لقد نجوت بإعجوبة

فتحت عيني ببطء شديد فإذا بجسدي مسجى على فراش أبيض في إحدى المستشفيات فغمغمت بضعف قائلا:

– ماذا حدث؟ .. أين أنا؟

وظل سؤالي من دون إجابة في ذلك اليوم ..

عفوا .. لم تنتهي روايتي بعد

فما زال بها العديد من الأحداث الجسام..

أحداث يشيب لها شعر الوليد ..

سأروي لكم كل ما حدث ..

ولكن في الجزء الثاني ..

والآن أستودعكم الله ..

فلقد أنهكت من الحديث ..

أنهكت كثيرا ..

لا تنسوا أنني ما زلت في فترة النقاهة ..

فترة النقاهة بعد جراحة خطيرة ..

خطيرة للغاية

* * *

www.riwaya.ml

إلى اللقاء في الجزء الثاني

ورواية

"فرصة أخيرة"

فرصة أخيرة

*** هل يمكن أن يمنح الله الإنسان فرصة أخيرة بعد أن وصل بالفعل إلى جهنم؟ .. لماذا منح القدير "حسن رشدي" تلك الفرصة؟**

*** هل منح القدير "حسن رشدي" وحده تلك الفرصة أم يمنحنا جميعا العديد من الفرص؟**

*** هل يستطيع "حسن رشدي" أن يسترد ثروته بعد أن فقدها وصار مفلسا؟**

*** هل يستطيع "حسن رشدي" أن يسترد كامل شركاته بعد أن باعها وقبض ثمنها؟**

*** لماذا يتهم "حسن رشدي" بريئا بالجاسوسية ويتسبب في سجنه لعشرين عاما؟ وكيف يمكن أن يتصرف البريء إذا فاض به الكيل؟**
*** كيف أنجب "حسن رشدي" توأمين رغم تأكيد الأطباء بأنه لن ينجب وحالته ميؤس منها تماما؟**
*** لماذا استدعى "حسن رشدي" أخيه من قلب الصعيد وما الموضوع الأهم من حياته الذي استدعاه لأجله؟**